# الطير
# في شعر ابن درّاج القسطلي

بقلم الدكتورة

**ياسمين بنت دخيل بن بخيت اللهيبي**

أستاذ الأدب المساعد ـ قسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية ـ كلية العلوم والآداب برابغ ـ بجامعة الملك عبد العزيز ـ المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م
الجزء الخامس ( إصدار ديسمبر )

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

# الطير في شعر ابن درَّاج القسطلي

**ياسمين بنت دخيل بن بخيت اللهيبي**

**قسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية ـ كلية العلوم والآداب برابغ ـ بجامعة الملك عبد العزيز ـ المملكة العربية السعودية .**

**البريد الإلكتروني :** yasmen_alheby@yahoo.com

## الملخص

كانت الطبيعة على وجه العمومِ، والأندلسية على وجه الخصوص، مصدر إلهام لقرائح الشعراء، ومنبعَ استلهامٍ لانبعاث أفكارهم؛ فيمّموا شطرها ينهلون من فيضها الخلّاب، ومعانيها العِذاب، ويسقطون عليها من مشاعرهم وأحاسيسهم ما يرون أنه يشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ولم يكن الشاعر ابنُ دراج القسطلي بمنأىً عن هؤلاء الشعراء، فقد توجَّه إلى الطبيعة الحاضنة للطير، وراح يسقط عليه كثيرًا من مشاعره، حتى جعله معادلًا موضوعيًا لهذه الأحاسيس، ونظرًا لما يحمله الطير من دلالاتٍ ورموزٍ عميقة؛ فقد كان منه في الجاهلية مما ذمَّه الشرع الحكيم، وما جاء بعد الإسلام من صنيع الشعراء؛ من استنطاق الطير، وعدّه مقابلًا للشاعر في حزنه وبيْنه وبكائه على إلفه، لذا اخترت هذه الدراسة؛ للوقوف على صورته بين الحقيقة والمجاز، بعد أن عرضت لأنواع الطيور، وقبله مقدمة موجزة عن الشاعر؛ نشأته وشعره، واتبعت المنهج الوصفي التحليلي القائم على عرض النصوص ومحاورتها.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على شعر ابن درّاج القسطلي، ويبين القيم الفكرية والجمالية في شعره، ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث: اتخاذ الطير معادلًا موضوعيًا يُسقط عليه الشاعر وجدانياته.

**الكلمات المفتاحية** : الطير، ابن دراج القسطلي، النص الشعري.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

٥٤٠٠

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

# The Bird in Andalusian Poetry
# (Ibn Daraj Al-Qastly)

**Yasmine bint Dakhil bin Bakhit Al-Lahibi**

Department of Islamic Culture and Language Skills - College of Arts and Sciences in Rabigh - King Abdul Aziz University - Kingdom of Saudi Arabia.

**Email:** yasmen_alheby@yahoo.com

## Abstract

**Nature in general, and Andalusia in particular, was a source of inspiration for the poets' talents, and a source of inspiration for the resurrection of their ideas; So they turned towards it, draws from its beautiful abundance and its sweet meanings, and falling on it from their feelings and sensations what they saw as sharing their joys and sorrows. The poet Ibn Derrag Al Qostali was not immune to these poets, as he turned to the nature that embraces the bird, and began to fall upon him many of his feelings, until he made it objectively equivalent to these feelings.**

**In view of the deep connotations and symbols that the bird carries; What was from him in the pre-Islamic era was condemned by the wise Sharia, and what came after Islam from the deeds of poets; From making the bird talk, and considering it as the poet's counterpart in his sadness and his crying over his love. So I chose my current research; to find out his image between reality and metaphor, after I presented the types of birds, and before it a brief presentation of the poet; His upbringing and poetry, and she followed the descriptive analytical approach based on the presentation of texts and its discussions. The importance of this research lies in the fact that it sheds light on the poetry of Ibn Derrag Al Qostali, especially the image of the bird, which has been absent from ancient and modern studies, and to clarify the intellectual and aesthetic values in his poetry.**

**Among the most prominent findings of the research: The bird was taken as an objective equalivent on which the poet fell his sentiments on it.**

**Keywords: : The bird, The symbol, The objective equivalent.**

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

صقلت الطبيعة الأندلسية الخلابة قريحة الأدباء شعراء وكتّابًا، فعبروا عما يختلج في قلوبهم من المشاعر والأحاسيس؛ فوصفوا الطبيعة الساحرة بقصائد مستقلَّة، ومقطوعات شعرية، فكانت نتاجًا فنيًا عبّر عن طاقة الشاعر الأندلسي وخياله التصويري، الذي رسم تلك الطبيعة الخالدة بشعره؛ فالتقط من الطبيعة الأخَّاذة العناصر الساكنة والمتحركة، الخامدة منها والحيَّة، فجعل شعره صورةً حيَّةً بالمخلوقات، وقد كانت الطيور عنصرًا حاضرًا مهمًّا في بساط الشعر، وشكلت الرِّياض المونقة، والخمائل المزهرة موطنًا آمنًا لها.

وقد سلبت تلك الطيور فؤاد الشعراء؛ فتغنوا بها، وأرَّقهم جمالها وبهاؤها، واستثار مشاعرَهم صوتُها وغناؤها، ومن أبرزهم: ابن درّاج القسطلي؛ الذي رسم للطيور بأنواعها لوحاتٍ شعرية مليئة بالنشاط والحيوية، عكست أحواله النفسية، والاجتماعية، فهو ابن بيئته؛ قضى حياته مغتربًا بعيدًا عن إلفه، نائيًا عن وطنه؛ لا جرم غلبت عليه الكآبة، وترحلت عن محيّاه ملامح السعادة، وروح الابتسامة؛ فأخذ يعكس كل ذلك من خلال الطبيعة، ومنها الطيور التي يرى أنها تمثِّل تسلية له؛ للتعبير عن تلك المشاعر المختلجة داخله.

يتناول صورة الطير التي كان لها حضور في شعر ابن درّاج القسطلي، ولها دلالات ورموز مرتبطة بمواقف مرَّ بها الشاعر؛ ولأهمية دراسة صورة الطير ودلالاته في الشعر الأندلسي، وأثره في ترسيخ المعاني للشعر؛ حيث ينتقل الشاعر من الواقع إلى الخيال؛ لذلك وقع اختياري على هذا الموضوع المعنون بـ(الطير في شعر ابن درّاج القسطلي)، بالأخص بعد أن بحثنا في

الدراسات السابقة مثل :

١-الاغتراب في حياة ابن درّاج وشعره، روضة بلال المول، (رسالة ماجستير).

٢-أنماط التصوير المجازي في شعر ابن درّاج القسطلي "دراسة وتحليل"، عدنان كنعان مهدي، (رسالة ماجستير).

٣-التناص في شعر ابن دراج القسطلي، عبدالجبار خليفة، (رسالة ماجستير).

٤-الصورة الفنية في شعر ابن درّاج القسطلي الأندلسي، د. أشرف علي دعدور.

٥-عامريات ابن درّاج القسطلي، وسام قباني.

هذه الدراسات لم نجد أنها تناولت صورة الطير تحديدًا عند الشاعر ابن درّاج القسطلي بدراسة تحلل النص من داخله ومن حيث علاقة هذه البنية الداخلية بمحيط النص، بل كانت الدراسة تنظر للنص المعني بالطير من الخارج؛ لذلك جاءت هذه الدراسة لكي تحلل النص من الداخل، وتُجلي تفرد الشاعر وتميزه في الأسلوب، كما أنها ستُظهر الطير معادلًا موضوعيًا تُعكس من خلاله الأبعاد النفسية للشاعر.

وقد تضعنا هذه الدراسة أمام عدة تساؤلات من أهمها:

-ما ملامح صورة الطير في شعر ابن درّاج القسطلي؟

-ما أنواع الطير التي تجلّت في شعر ابن درّاج القسطلي؟

-ما الوسائل التي أسهمت في إبراز صورة الطير عند ابن درّاج القسطلي؟

لهذا تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على شعر ابن درّاج القسطلي، لاسيما صورة الطير التي ربما كانت ضئيلة التناول في الدراسات النظرية الحديثة والقديمة؛ مما قد يدفع الباحث إلى المضيّ في استكشاف الأبعاد الرمزية للطير في شعر الشعراء.

وعلى هذا يهدف البحث إلى تحقيق الغاية في إبراز القيم الفكرية والجمالية لشعر ابن درّاج القسطلي المتصلة ببروز ظاهرة الطير في شعره.

ويقوم منهج البحث على دراسة الشعر الأندلسي وديوان الشاعر ابن درّاج القسطلي وعرضه ثم وصفه وتحليله، واستخلاص الأبعاد الفكرية والفنية له.

وبذلك تكونت الدراسة من تمهيد، ومبحثين، ثم تليهما خاتمة تحمل أهم النتائج.

يشمل التمهيد محورين:

- الأول: التعريف بالشاعر ابن درّاج القسطلي.
- الثاني: البيئة في مخيلة ابن درّاج القسطلي.

ثم تناول المبحث الأول: أنواع الطير في شعر ابن درّاج القسطلي.

- الحمام.
- الغراب.
- الطيور الجارحة.

وتناول المبحث الثاني: الطير في شعر ابن درّاج القسطلي بين الحقيقة والمجاز

- الرمز.
- التشخيص.
- المعادل الموضوعي.

ثم تنتهي الدراسة بخاتمة تضم ملخصًا عن البحث وأهم نتائجه. بعد ذلك تُسرد قائمة المصادر والمراجع التي تمت الاستفادة منها في بناء هذه الدراسة.

**أسأل الله عز وجل الرشاد في القول والحمد لله رب العالمين**

**والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

# التمهيد

## أولًا: التعريف بابن درّاج القسطلي:

### مولده ونشأته:

هو أحمد بن محمد العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درَّاج، ويكنى بأبي عمر الشاعر الكاتب [١]، ولد سنة ٣٤٧هـ [٢]. أما لقبه

---

(١) ينظر: ابن خلكان(ت٦٠٨هـ)، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، مج١/ ١٣٥.

- ابن بشكوال (ت٥٧٨ه)، أبي القاسم خلف بن عبد الملك: (الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدباءهم)، ت: بشار عواد معروف، ط١، ٢٠١٠، دار الغرب الإسلامي، تونس، مج١/٧٨.
- الذهبي(ت٧٤٨هـ)، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: (سير أعلام النبلاء) ت: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م، ج١٧/٣٦٥.
- الحميدي (ت٤٨٨هـ)، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي: (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ط ١٩٦٦م، ص ١١٠-١١٤.
- الضبي(ت٥٩٩هـ)، ابن عميرة أحمد بن يحيى: (بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس)، ت: إبراهيم الأبياري، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت. مج١/٢٠١-٢٠٤.
- ابن دحية(ت٦٣٣هـ)، أبي الخطاب عمر بن حسن: (المطرب من أشعار أهل المغرب)، ت: إبراهيم الأبياري، د. حامد عبدالمجيد، د. أحمد أحمد بدوي، راجعه: د. طه حسين: دار العلم للجميع، بيروت- لبنان، د.ط..ت، ص ١٥٦-١٥٧.
- الصفدي (ت٧٦٤هـ) صلاح الدين خليل بن ايبك: (الوافي بالوفيات)، ت: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج٨/٣٣-٣٦.
- الحنبلي(ت١٠٨٩هـ)، أبي الفلاح عبد الحي بن العماد: (شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة)، بيروت،ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ج٣/٢١٧-٢١٩.
- بردي (ت٨١٣هـ)، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط١/١٣٨٣-١٩٦٣، ج٤/٢٧٢-٢٧٣.
- الزركلي(ت١٣٩٦هـ)، خير الدين: (الأعلام)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٨٦م، ج١/٢١١.

(٢) ينظر: الصلة، ج ١/٧٩، وفيات الأعيان، ج ١/١٣٨، الوافي بالوفيات، ج٨/٣٦. شذرات الذهب، ج ٣/٢١٧، الاعلام، ج١/٢١١.

القَسْطَلِّي، نسبة إلى بلدة (قسطلة)[١] -موطن مولده-ودراج قرية في غرب الأندلس؛ لذلك عُرِفت في كتب المؤرخين الأندلسيين باسم (قَسْطَلّة دراج)[٢]؛ يقول ابن سعيد: " إن دراجًا جدّ الشاعر الأعلى، وبنوه تداولوا رياستها".[٣]

قضى ابن درّاج القسطلي سني تعليمه في عهد بني أمية في الأندلس، ولم يتعرض من ترجموا له لنشأته التعليمية الأولى، ولكن محقق ديوانه ذكر أنه تردد على مكاتب الشيوخ في جيّان[٤]، في حقبة مبكرة من حياته، وحفظ القرآن الكريم، وألمَّ بمبادئ النحو واللغة والأدب والأخبار، والأنساب، ولا يستبعد قيامه بعدة رحلات إلى قرطبة، واطلاعه على جوهرها الأدبي، والالتقاء بشعرائها.[٥]

---

(١) قسطلة: هي قرية غرب الأندلس، منها أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي، ودراج هو الذي تنسب = = إليه القرية، فيقال: قسطلة دراج، وكان أبو عمر هذا كاتبًا من كتاب الإنشاء في أيام المنصور بن أبي عامر...
ينظر: جذوة المقتبس، ص ١١٠، النجوم الزاهرة، ج ٢٧٣/٣، الاعلام، ج ٢١١/١.

(٢) ينظر: جذوة المقتبس، ص ١١٠، وفيات الأعيان، مج١٣٩/١.
الحميري(ت٩٠٠ه)، محمد بن عبد المنعم: (الروض المعطار في خبر الأقطار)، ت: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢ ،١٩٨٤م، ٤٧٩-٤٨٠، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ١٥٦، شذرات الذهب، ج ٢١٧/٣، الأعلام، ج٢١١/١.

(٣) ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ)، علي بن موسى: (المغرب في حُلَى المغرب)، حققه وعلق عليه: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د. ط. ت، ج ٦٠/٢، ينظر: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ١٥٦.

(٤) جَيّان: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس، وهي كورة كبيرة تجمع قرى وبلدان كثيرة، وكورتها متصلة بكورة تدمير وطليطلة، وينسب إليها جماعة وافرة منهم: الحسين بن محمد الغساني، وقال الحافظ أبو عبد الله بن النجار: جيان من قرى أصبهان ثم من كورة قُهاب كبيرة، عندها مشهد مشهور يعرف بمشهد سلمان الفارسي-رضي الله عنه-وينسب إلى جيان أصبهان أبو الهيثم الحنفي الجياني. ينظر: ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، شهاب الدين أبي عبدالله: (معجم البلدان)، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٣٩٧هـ-١٩٩٣م، مج٢/ ١٩٥-١٩٦.

(٥) ينظر: مقدمة :(ديوان ابن دراج القسطلي)، ت د. محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي دمشق، ط١، ١٩٦١م، صـ ٣٦.

كانت نشأة ابن درّاج القسطلي في حقبة الخلافة الأموية بالأندلس، في أواخر خلافة عبد الرحمن الناصر، وقد مرت الأندلس خلالها بأحداث جسام، غيرت مجرى السياسة فيها، اتسمت بالقوة حينًا، والضعف أحيانًا؛ حتى قللت من شأن الخليفة، بل أدت إلى ذهاب ملك بني أمية بالأندلس، وقد عاصر ابن درّاج القسطلي هذه الحقبة، وتأثر بأحداثها، وتراكمت أصداؤها في تجاربه وقصائده.

**ثقافته وشاعريته**:

عاش ابن درّاج القسطلي في كنف الدولة العامرية، وقد اهتمَّ المنصور ابن أبي عامر بالحياة العلمية والثقافية أيَّما اهتمام؛ حيث كان "محبًا للعلم، مؤثرًا للأدب، مفرطًا في إكرام من ينتسب إليهما، ويفد عليه متوسلًا بهما، بحسب حظه منهما، وطلبه لهما، ومشاركته فيهما"،[(١)] وكانت له ندوة أسبوعية تعقد في قصره بقرطبة، يلتفُّ حوله العلماء والأدباء والوجهاء، كل يفد برأيه وأدبه، ويشاركهم المنصور الرأي والإبداع[(٢)]، وربما أن لهذه البيئة الثقافية أثرًا كبيرًا في غزارة المخزون الثقافي والمعرفي لدى ابن درَّاج القسطلي، فكانت سببًا في أن يكون من مرتادي بلاط المنصور ومن شعرائه، وقد أكثر له المدائح تلو المدائح؛ إعجابًا بشخصية المنصور، وحنكته السياسية والعسكرية، وموهبته العلمية واللغوية، وقد استمرّ في بلاط العامريين يمدحهم، ويسجل مفاخرهم، ويدون انتصاراتهم، ويكتب أحداثهم.

ومن جهة أخرى "تزود-ابن درَّاج القسطلي- بثقافة لغوية وتاريخية، وأقبل بنوع خاص على شعر الجاهليين والإسلاميين، وفُتن بنوع أخص

(١) الحميدي(ت٤٨٨هـ)، أبي عبدالله محمد بن فتوح: (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس)، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ١٤٢٩-٢٠٠٨م، ج١/٧٨.

(٢) ينظر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص٧٨-٧٩.

بالاتجاه المحافظ الجديد في الشعر، ذلك الاتجاه الذي وصل إلى قمته في القرن الرابع الهجري، حين انتهت زعامته في المشرق إلى الشاعر الجهير أبي الطيب المتنبي، وفي المغرب إلى الشاعر المجلجل ابن هانئ الأندلسي"[١].

نشأ ابن درَّاج القسطلي في بيئة زاخرة بالعلوم والمعارف؛ كان أهل الأندلس حينذاك يصبُّون جلَّ اهتمامهم في علوم الدين واللغة، وأتيحت لهم الفرصة للتزود بالآداب والعلوم، وكل ما من شأنه النهوض بفكرهم وثقافتهم، فكان الشاعر منهم يصقل موهبته الشعرية بزادٍ وافرٍ من المعارف الإسلامية، والثقافات العربية، ويتأمَّل دواوين الشعراء، فيتأثر بهم، ويحتذي حذوهم، ويسير على نمطهم في بناء القصائد وتشكيلها [٢].

أما شاعريته فقد كان من الشعراء الفحول قولًا للشعر، ومن أبرزهم تميزًا في هذا الفن الإبداعي، ومن أطولهم قصيدًا في العصر الأندلسي، وأحسنهم صياغة، وأجودهم تعبيرًا، وأغربهم تصويرًا، وتمكنهم لغة، وقد أكثر من المدائح، وبرع في شعر الوصف وأجاد، وسيطرت على تجاربه نزعة نفسية، وهي التعلق بالأبوة، والحنين إلى الماضي، وشاع في أشعاره الشكوى والقلق، ولعل هذا نتيجة للتقلبات السياسية والاجتماعية التي عاصرها، فتأثر بها، وأثرت في قلبه ووجدانه[٣].

ولعلّ المتأمل في شعر ابن درَّاج القسطلي، يجده أنه ميَّالًا إلى الاتجاه المحافظ على تقاليد الشعر العربي المتوارثة الذي يمثل صورة من صور

---

(١)هيكل، أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، ١٩٨٥م، ص٣٠٣.

(٢) ينظر: بتصرف: الصلة، مج١/٧٨.

(٣) ينظر: بغية الملتمس، ص ٢٠٢، جذوة المقتبس، ص ١١٢، الوافي بالوفيات، ج٨/٣٣-٣٥، شذرات الذهب، ج ٣/٢١٧-٢١٩.

الانتماء، المرتبط بمنهج القصيدة ولغتها وموسيقاها، وأخلاقياتها [١]، اتسمت أشعاره بجودة التصوير، وسلامة التعبير، وروعة السبك، ودقة الحبك، "إليه انتهت الطريقة التي اختارها الأندلسيون، وارتضوها ... وعنده بلغت آخر الشوط في تطورها وتعقدها والتوائها؛ لأنه جمع بين أبي تمام والمتنبي، وحاول أن يبذَّ كل من تقدمه في المعاني والصياغة، مازجًا كل ذلك بجلبة ابن هانئ، مطيلًا إطالة ابن الرومي، معتمدًا في أكثر شعره على الكدِّ والمصابرة والنحت"[٢].

لم يكن ابن درَّاج القسطلي مقلدًا لمن سبقه، بل جدّد طريقتهم، وترك بصمات واضحة، أثبت من خلالها حضوره وشخصيته، ونهجه المتجدد، وقد فطن النقاد قديمًا وحديثًا لما يتميز به شعره من حيث الجودة والأصالة، يقول عنه ابن شهيد: "والفرق بين أبي عمر وغيره أن أبا عمر مطبوع النظام، شديد أسر الكلام؛ ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالحبر واللغة والنسب، وما تراه من حَوْكه للكلام، وملكهِ لأحرار الألفاظ، وسعة صدره، وجيشة بحره، وصحة قدرته على البديع، وطول طلقه في الوصف، وبغيته للمعنى وترديده، وتلاعبه به وتكريره، وراحته بما يتعب الناس، وسعة نفسه فيما يضيق الأنفاس"[٣]، وعلق أحد النقاد القدامى على قصيدة رائية لابن درَّاج القسطلي عارض بها أبا نواس، فقال: "وأنا أقسم بما حازته هذه الأبيات، من غرائب الآيات، لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسلا به

---

(١) ينظر: سلطاني، د.الجيلالي: ( الثقافة المشرقية وأثرها في ترسيخ مذهب العرب في الشعر الأندلسي)، التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق، ع ١٠٦، ١٤٢٨- ٢٠٠٧م، السنة ٢٧ ، ص ٥٧-٥٨.

(٢) عباس، د. إحسان: (تاريخ الأدب الأندلسي- عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٦٠م، صـ٢٦٠.

(٣) الشنتمري (ت٥٥٢هـ)، أبو الحسن علي بن بسام: (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)، ت: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، د.ط. ت١٤١٧-١٩٩٧م، ج ٦١/١.

عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر، ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم وناثر"[١].

أشاد بشعر ابن درَّاج القسطلي كثير من النقاد المحدثين، ومن هؤلاء: شوقي ضيف الذي تحدَّث عن شاعريته فقال: "الصوت العام لابن درَّاج، خَلْطٌ بين تصنع وتصنيع، أو بعبارة أدق خلطٌ بين مذهب أبي تمام ومذهب المتنبي... وأنه لو ترك نفسه على سجيتها دون عناية بتقليد المذاهب المشرقية من صنعة وتصنيع وتصنع لاستطاع أن يترك لنا شعرًا مليئًا بالحيوية والقوة، والوجدان الفياض؛ غير أنه كان يريد أن يثبت تفوقه ومهارته، وهو لذلك يحاول أن يصنع شعره على صورة شعر المتنبي، أو أبي تمام، أو غيرهما من شعراء المشرق"[٢]. ولعلّ ابن درَّاج القسطلي أراد من هذا السبيل أن ينهج مسلك شعراء المشرق؛ ليثبت قدرته على أنه امتداد لذلك الموروث العظيم، وليس منفصلًا عنه؛ لأنه يشكل كيانه وهويته، ويظهر قدرته على تميزه بطوابع جديدة تعكس أحوال بيئته وظروفها وخصوصيتها، هكذا كان هذا الشاعر يستسيغ موائد من سبقه، ولكنه لا يقدمها قصائد مستنسخة أو مجترةً، بل يضفي عليها من ذوقه الخاص ورؤيته الواقعية المعبرة عن روح عصره.

وهكذا شغل ابن درَّاج القسطلي كثيرًا من النقاد بشعره وإبداعه، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على مدى تمكنه من موهبته الفنية، وقدرته الإبداعية على تصوير لواعجه في قصائد تشع بالحيوية والنشاط، وتتكثف بالإحساس القوي، والشعور الحي، ولعلّ من يتأمل شعره تستوقفه تلك اللقطات البديعية، واللمسات الجميلة التي يمزج فيها بين الأصالة والمعاصرة شكلًا وجوهرًا.

---

(١) التلمساني (ت ٧٥٩هـ)، أحمد بن محمد المقري: (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، ت: د. إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، د. ط، ت، ج ١٩٥/٣.

(٢) ضيف، د. شوقي (الفن ومذاهبه في الشعر العربي)، دار المعارف، القاهرة ، ط٩ ، دت، ص ٤٢٧- ٤٢٩.

**ثانياً: البيئة في مخيلة ابن درَّاج القسطلي:**

إن الصورة الشعرية لا تتشكل من الفراغ، وإنما تنبعث من محيط الشاعر وبيئته، ينظر الأديب إلى ما حوله من مرئيات ومحسوسات، ثم يتفاعل مع واقعه الذي يعيش فيه وينتمي إليه، وبعد ذلك يبرز للمتلقي لواعج قلبه، ومشاعر وجدانه في شكل شعري مؤثر، وأسلوب فني معبر؛ ومن هنا كان الشعر على وجه العموم مرآة تعكس تفاعل الأديب مع بيئته، وهكذا كان ابن درَّاج القسطلي يعبر عما في داخله من رؤى وأحاسيس من خلال مخيلته وبيئته، والشاعر الأندلسي قُدِّر له أن ينشأ في بيئة خصبة، وطبيعة ساحرة تسلب العقول، وتجذب الألباب بصورتها المبهجة، وقد كان من أثر جمال الأندلس أن شغفت بها القلوب، وهامت بها النفوس، فأقبل الشعراء يسرحون النظر في خمائلها، ويستمتعون بمفاتنها، وراحوا ينظمون كلمهم دررًا في وصف رياضها، ومباهج جنانها، بعد أن فتحت لهم نفوسهم قول الشعر، وجعلتهم يرون فيها جنة الخلد بمائها وظلها وأنهارها، وأشجارها [(١)]، وفي هذه البيئة الساحرة يقول ابن خفاجة: [(٢)]

يَا أَهْلَ أَنْدلسٍ لله دَرُّكُمُ *** مَاءٌ وظلٌّ وأنهارٌ وأشْجَارُ
ما جَنَّةُ الخُلدِ إلاَّ في دِيارِكُم *** ولو تخيَّرتُ هذا كُنتُ أَخْتَارُ

الطبيعة الجميلة التي وهبها الله لأهل الأندلس، بما فيها من التنوع الطبيعي الساحر الفاتن جعلتها مصدرًا من مصادر الصورة الفنية لدى شعرائها، كما صارت إلهامهم مرآة صورت هذه الطبيعة في شعرهم الذي عكس هذه الجماليات.

وقد تنوعت هذه العناصر بين الزمان والمكان، والإنسان، والطير، والحيوان، وسوف يقف البحث عند الطير في شعر ابن درَّاج القسطلي، ولعل

---

(١) ينظر: الركابى، جودت: (فى الأدب الأندلسى)، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٦ م، ص١٣٠.

(٢) (ديوان ابن خفاجة)، ت: عبد الله سنده ، دار المعرفة، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٢٧-٢٠٠٦، ص ١٣٣.

قضية الحيوان والطير في تجارب الشعراء ليست وليدة العصر الأندلسي فحسب؛ بل إن هذه الظاهرة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي؛ فقد عاش الشاعر في صحراء قاحلة، ممتزجة بخشونة العيش، وحرية الفكر، ونتج عن ذلك امتزاجها بصوره وأخيلته، فأجاد الشعراء في وصف الفرس، والناقة، وغيرهما، وجعلوا من الحيوانات رفيقة لهم في حلهم وترحالهم، وكذلك الحال في باقي العصور.

أما في بلاد الأندلس فقد أغرت البيئة المميزة كثيرًا من الشعراء بما فيهم ابن درَّاج القسطلي، الذي تفاعل مع عناصرها ولعل أبرزها الطيور، وقد جاء هذا البحث ليلقي الضوء على الطير ورمزيته في التجارب الشعرية لديه وذلك في مبحثين، كما يأتي:

## المبحث الأول: أنواع الطير في شعر ابن درَّاج القسطلي:

لمّا كان الشاعر عامةً، والأندلسي خاصةً صاحب رسالة تعبر عن حاضره وواقعه من خلال صوره الفنية، كان لزامًا عليه أن يصور مرجعيات تشكل رؤاه وغاياته، ومن هنا أضحى ابن درَّاج القسطلي يستقي من بيئته تلك الأفكار بصورة تعبيرية، وأحيانًا يتخذ من عناصرها رموزًا ودلالات يسقط عليها نفسيته ووجدانياته، فكان الطير إحدى هذه الصور التي وظفها في شعره.

وإذا كان المنصور ابن أبي عامر هو الشخصية المأثورة المفضّلة والمميزة لدى الشاعر الأندلسي، فإنه حظي بِقَدْرٍ وافرٍ وحظٍّ واسع من اهتمام ابن درَّاج القسطلي، فيغدو الشخصية الحاضرة الفاعلة في شعره ، تتمدَّد بأفعالها ومآثرها وخصالها الحميدة في ثنايا قصائده، ويتسع حضورها واقعًا ورمزًا ، وذلك من خلال تشكُّل الطير معها في كثير من القصائد، ولعل هذا الارتباط والتجاذب بين الطير والممدوح، إنما يأتي لغاية في نفس الشاعر قصدها وسعى إليها؛ لأنها تمدُّه بطاقات لغوية جديدة، وتشحن شعره برموز ودلالات ذات فاعلية ، تكتسبها من خلال السياقات اللغوية، وما توحيه من معانٍ وتعابير؛ لا تؤديها مباشرةً الكلمات المألوفة.

ومن هنا تمنح هذه الرموز القصيدة أبعادًا متطوِّرة إيحائية وإشارية لا تمتلكها سطحية السياق العادي، ففي قصيدة للشاعر ابن درَّاج القسطلي يمدح فيها المنصور ويتحدث عن انتصاراته وغزواته، وفي سياق هذا المدح يتطرق إلى الخيرات التي غنمتها جيوش المنصور من هذه الغزوة فيقول:(١)

إِذَا سَابَقَتْ شَأْوَ الرِّياحِ تخَيَّلَتْ *** خيولًا مدى فُرْسَانِهِنَّ خُيُولُ
سحائبُ تزجيها الرياحُ فإنْ وَفَتْ *** أَنَافَتْ بأَجْيَادِ النعامِ فُيُولُ

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ٥.

ظباءُ سِمَامٍ ما لهُـنَّ مَفَـاحِصٌ *** وزُرْقُ حَمَـامٍ مـا لهُـنَّ هَـدِيلُ[١]
سَوَاكِنُ في أَوطَانِهنَّ كَأَنْ سَمَا *** بها المـوجُ حيـثُ الرَّاسِـيَات تَـزُولُ

وتعكس هذه الأبيات تصوير النصر الذي حققه الممدوح المنصور ابن أبـي عامر على ثورة زيري بن عطية، فنجم عنه الأمـن والأمـان، واستشـعار الناس الطمأنينة والابتهاج بعد أن كانوا في خوف وعدم استقرار، ولم يكـن الناس هم المنتفعين بهذا النصر فحسب، بل شمل الحيوانات والطيور، ولعل في هذا إشارة إلى شمولية الأمن والاستقرار وتحقيق الرفاء للجميع.

أما عن أنواع الطيور في ديوان ابن درَّاج القسـطلي فـإن المتأمـل لقصائده وأشعاره، يجد أنها قد تعددت إلى أنواع كثيرة، ومن أبرزهـا مـا يأتي:

## أولًا: الغراب:

ارتبط الغراب في وجدان الشاعر العربي بأنه نـذير الشـؤم، وطـالع النحس والفراق، وسبب القلق، وعامل من عوامل الاضطراب والحيرة؛ ذلـك أن "العامَّة تتطيَّر من الغراب إذا صاح صيْحة واحدة، فإذا ثنَّى تفاءلت بـه"[٢]، وكذلك "إذا صاح مرَّتين فهو شر، وإذا صاح ثلاثَ مرَّات، فهو خير على قـدر عدد الحروف"[٣]، أما غراب البين فهو "غراب أسود، ينـوح نَـوْحَ الحـزين

(١) مفاحص: الفحص: شدة الطلب خلال كل شيء. فحص عنه فحصا: بحـث. ويقـال: مفحـص القطاة: حيث تفرخ فيه من الأرض قال ابن الأثير: هو مفعل من الفحص كـالأفحوص وجمعـه مفاحص. وفي الحديث: أنه أوصى أمراء جيش مؤتة: وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف أي أن الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها لـه مفـاحص كمـا تستوطن القطا مفاحصها، وهو من الاستعارات اللطيفة لأن من كلامهم إذا وصفوا إنسانا بشـدة الغي والانهماك في الشر. ينظر: ابن منظور(ت٧١١ه)، جمال الدين محمد بن مكـرم: (لسـان العرب)، دار صادر ، بيروت ، ط٣، ٢٠٠٤م، مادة (فحص).

(٢) الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)، أبي عثمان عمرو بن بحر: (الحيوان)، ت: عبد السـلام هـارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١٣٨٨،٣-١٩٦٩م، ج٣/ ٤٥٧.

(٣) الدميري(ت٨٠٨هـ)، كمال الدين محمـد بـن موسـى: (حيـاة الحيـوان الكبـرى)، ط٥ ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ج١٠٥/٢.

المصاب، وينعق بين الخلان والأحباب، إذا رأى شملاً مجتمعًا أنذر بشتاته، وإن شاهد ربعًا عامرًا بشَّر بخرابه ودروس عرصاته، يعرف النَّازل والسَّاكن بخراب الدور والمساكن، ويحذر الآكل غصَّة المآكل، ويبشِّر الرَّاحل بقرب المراحل، وينعق بصوت فيه تحزين، كما يصيح المعلن بالتأذين"[١]، والمتأمل في شعر ابن درَّاج القسطلي، يجد أن للغراب حضورًا واضحًا؛ حيث وظَّفه في كثير من تجاربه الشعرية، ومن هذه النماذج قوله في القصيدة التي يمدح فيها المنصور ابن أبي عامر: [٢]

أَنْضَيْتُ خَيْلِي فِي الهَوَى وَرِكَابِي *** وَعَمَرْتُ كَأْسَ صِبًا كأسَ نِصَابِ[٣]
وعُنِيتُ مُغرًى بالغَوانِيَ والصِّبَا *** واللَّهوِ، واللَّذات قد تُغْرَى بِي
فِي غَمرَةٍ لا تَنْقَضِي نَشَوَاتُها *** مِنْ صَرْفِ كأْسٍ أَو جُفُونِ كَعَاب
أَيَّامَ لا نَرْتَاعُ من صَرْفِ النَّوَى *** أَمْنًا ولا نُصْغِي لِنَعْبِ غُرَابِ

يتحدث الشاعر ابن درَّاج القسطلي في هذه الأبيات، عن أيام المنصور ابن أبي عامر، حيث الرخاء الاقتصادي الذي عمَّ أرجاء البلاد، والتفوق العلمي والعسكري الذي جعل للأندلس مكانة شامخة بين الشعوب. وقد قال هذه القصيدة في مناسبة "الحملة التي وجهها المنصور ابن أبي عامر إلى قشتالة[٤]، التي كان يحكمها آنذاك (غرسية ابن فرذلند)، منتهزًا فرصة

---

(١) المصدر السابق ٢/١٠٤.

(٢) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ١٥-١٦.

(٣) أنضيت: من النضو بالكسر البعير المهزول والناقة نضوة وقد أنضتها الأسفار فهي منضاة. ينظر: لسان العرب، مادة (نضا).

(٤) قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الإفرنج. ينظر: معجم البلدان، مج٤/٣٥٢.

غرسيه بن فرذلند: أبو عامر أحمد بن غرسية، وهو من كتاب شرقي الأندلس، يرجع إلى أصل نصراني، سبى صغيرًا، ونشأ في كنف مجاهد العامري صاحب مملكة دانية والجزائر (٤٠٠-٤٣٦هـ) وولده على إقبال الدولة ( ٤٣٦-٤٦٨هـ). ينظر: عنان، محمد عبد الله: (دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دولة الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧-١٩٩٧م، ج٣/٢٠٤.

الثورة التي أعلنها على (غرسية) ابنه (شانجة)، وفي هذه الغزوة فتح المنصور عدة أماكن"[١].

يتحدث ابن درَّاج القسطلي عن هذه الغزوة بعزةٍ وافتخار، ويفتتحها بهذا المقطع المكثف بالتفاؤل، والمليء بالبشريات؛ حيث يبين أنه قد أنضى خيله وأتعبها وأرهقها؛ نتيجة فتوحات المنصور، ثم يبين أن هذه الأيام المزهوة بالنصر والتمكين، والعزة للمسلمين؛ هي أيام خير وبركة، لا تنقضي نشواتها، ولا تنتهي أفراحها؛ نتيجة النصر الذي حققه ابن أبي عامر.

وفي أثناء هذه الصورة التي يجسدها الشاعر ابن درَّاج القسطلي، والتي تبرز تفاؤله، وشدة حبه للممدوح يبين أن مثل هذه الأيام لا يخاف المحب من تصرّمها، ولا أن تغتالها يد النوى، فنعيب الغراب دليل عليه، وإن كان الناس يتشاءمون من نعيب الغراب فإن أيام النصر والفتح لا مجال للتشاؤم فيها، ولا مجال للقلق أو الاضطراب؛ لأن المنصور لا يترك فرصة متاحة للنصر إلاَّ خاضها، ويلاحظ أن ابن درَّاج القسطلي هنا قد وظف الغراب –وهو جزء من البيئة الأندلسية– في صورة تفاؤلية تتسم بالبشر والأمل، وكأنه يبرز للقارئ أن الغراب المعروف بشؤمه، والمشهور بسوء نعبه، لم يعد على أيام المنصور ابن أبي عامر مشؤومًا، فقد كثرت فيها الفتوحات، وتعددت فيها البطولات، ولا يخفى ما في هذه الصورة من حب للممدوح، واعتزاز بقوته، وفخر بعزيمته، وربما أراد أنه لا مكان لنعيبها أصلًا؛ لأنَّ الصولة لزغردة الحمام وهديلها، لا لصوت الغربان ونعيبها.

ومن خلال هذه الأبيات يتجلى للقارئ أن ابن درَّاج القسطلي قد عاش حياة آمنة، ومعيشة راضية، لا يعرف للتشاؤم طريقًا، ولا للقلق سبيلًا، فصور الدنيا في كامل بهجتها، وشدة إغرائها، وقوة أسرها، وذلك في قوله:

---

(١) ينظر: هامش ديوان ابن درّاج القسطلي، صـ ١٥.

(ومحاسن الدنيا بغير نقاب)؛ حيث جسدها في صورة الفتاة الحسناء، التي تخلت عن حيائها، وتجلت في كامل زينتها، وربما أن شاعرًا هذه حياته، وتلك معيشته لا يتشاءم، ولا يصاب بأي اضطراب أو قلق، ولذلك لا يهمه نعيب الغراب، ولا تشغله دوافع التشاؤم، ولا تؤثر في نفسه دواعي القلق أو الحزن.

لعلّ استحضار دلالة الغراب في هذا النص الذي يرمز إلى التشاؤم، إنما يدل على اختراق اللاممكن، بل وتصفية نُذُر التشاؤم، وإقصاء المثبطين الذين يتوقعون عدم تحقيق النصر على الأعداء، وهذا يذكّر بموقف المعتصم في فتح عمورية الذي لم يصغِ إلى دعوات المنجِّمين الذين توقّعوا أن عمورية لن تُفتح إلاّ في موسم نضج التين والعنب، إلاّ إن خليفة المسلمين المعتصم لم يرضخ إلى هذه الأكاذيب والتُّرهات الباطلة، وأثبت أن السيف أصدق من تكهن هؤلاء المنجمين الكاذبين، كما قال أبو تمام: (١)

السّيفُ أَصدَقُ أَنْبَاءً مِنْ الكُتُبِ  في حدِّه الحَدُّ بينَ الجدِّ واللّعِبِ
بيضُ الصَفَائحِ لاسُودُ الصَحَائفِ في  مُتُونهنَّ جَلاء الشّك والريبِ

وقد خص أباطيلهم بإرادة النصر، فكان له ما أراد، هكذا هم القادة وأصحاب الحقّ، فكما كان المعتصم كان المنصور ابن أبي عامر، واستطاع بشجاعته أن يُحكِّم سيف العدل والحق دون الإصغاء إلى أولئك النفر المتقاعسين المخذلين، ولعلّ عبارة (ولا ينبغي لنعب غراب) إنما تشير إلى رمز هذا النعيب المتمثل في كل شخص لا يثق بالنصر والقوة والشجاعة، قد أعماه القنوط، وغلب عليه التشاؤم، وإنهم الفئة المقابلة لأولئك المنجمين عند أبي تمام، وهكذا استطاع الممدوح اختراق المألوف ، وإبراز الصورة المغايرة له من خلال جعل صوت الغراب رمزًا للتفاؤل لا للتشاؤم.

---

(١) أبو تمام (ت ٢٣١ه)، حبيب بن أوس: (ديوان أبي تمام الطائي)، وقف على طبعه وضبطه وعلق شرحه شاهين عطية اللبناني، المطبعة الأدبية في بيروت ١٨٨٩م، نظارة المعارف العمومية الجليلة في الأستانة العلية نمرة ٤١٢، صـ١٥.

وفي قصيدة أخرى نرى للغراب حضورًا أيضًا عند ابن درَّاج القسطلي؛ وذلك في قصيدته التي يمدح فيها لبيبًا الصقلي العامري، وكان أحد موالي الدولة العامرية، يمدحه الشاعر، ويذكر خصاله الطيبة، وصفاته الحسنة، ويثني على ولايته وعدله وقوته، وفي ثنايا هذه القصيدة يقول: (١)

في كُلِّ يومٍ مُنْتَوىً مُتَباعِدٌ *** يرمِي حُشاشَةَ شَمْلِنَا المُتَقَارِب(٢)
وَثَنَتْ تُذَكِّرُ مُقْرَباتِ سفائنٍ *** عُذْنَا بِهَا مِن مُقْفِرات سَباسِبِ(٣)
أَيامَ تؤنِسُنَا فَلًا وَسَواحِلٌ *** عن آنساتِ مقَاصِرٍ وَمَلاعِبِ
نَعَبَ الغرابُ بِها فَطَارَ بأَهلِها *** سِرْبًا عَلَى مِثلِ الغُرابِ النَّاعِبِ

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر ابن درَّاج القسطلي عن أيام (لبيب العامري) (٤)، ويذكر أن تلك الأيام تحقق فيها الأمن، وعمَّ فيها الرّخاء البلاد، ويبين أن أيامًا كهذه لا مجال فيها للتشاؤم من نعيب الغراب وصوته، حيث آنستهم الفلوات والسواحل عن آنسات القصور والملاعب، وهذه كناية عن الجد والاجتهاد الذي اتصف به الممدوح، فمن كان يعمل من أجل نهضة أمته، ورفعة قومه ودولته؛ فلا مجال لديه للعب، ولا وقت عنده يضيعه بين القصور والملاعب، كما أن هذا الممدوح أيضًا اتسم بالتفاؤل المطلق، فلا تشغله أصوات الغربان، ولا يتشاءم من سوء الحظ والإخفاق، ويتجلى في هذه الصورة أيضًا أن الشاعر ابن درَّاج القسطلي يمدح هذا الوالي بأنه قد

---

(١) ديوان ابن درّاج القسطلي، صـ ١١٠.

(٢) منتوى: نوي هو منتوى القوم: أي صاحب أمرهم ورأيهم، ورئيسهم، ينظر: مسعود، جبران: (الرائد معجم لغوي عصري)، ط٧، ١٩٩٢ م، دار العلم للملايين بيروت، صـ ٧٧٢.

(٣) سفائن: واحدة سفن: القشر سفن الشيء يسفنه سفنا، قشره، والسفينة: الفلك لأنها تسفن وجه الماء أي تقشره ينظر: لسان العرب، مادة (سفن). سباسب: واحدة سبسب الأرض القفر البعيدة مستوية وغير مستوية لا ماء بها ولا أنيس. ويقال: القفر والمفازة. ينظر: المصدر السابق، مادة ( سبسب).

(٤) لم أعثر على ترجمته فيما بين يدي من المراجع والمصادر.

جعل رعيته في نعيم دائم، وقد كانوا من قبله في بؤس وشقاء، وعانوا من هموم الحياة وأحزانها، أما على عهد الوالي لبيب فقد نعب الغراب على تلك الأيام الخوالي؛ فطار بأهلها، وولت تلك الحياة البائسة، وزال همها وفقرها.

وقد يقال–وهو الأظهر– أنه يحكي تقلب حالها من الأمن إلى الخوف، والاستقرار إلى الاضطراب، فكأنَّ غرابًا نعب بها فتبدلت حالها.

يقول ابن درَّاج القسطلي: (١)

وَوَقَفْتُ مَوْقِفَ عَاشِقٍ حَلَّتْ لَهُ *** فِيهِ غنيمةُ كاعِبٍ وكَعَابِ

..... *** .....

في جُنْحِ لِيلٍ كالغُرَابِ أَطَارَ لِي *** عَنْ مُلْتَقَى الأَحْبابِ كُلَّ غُرَابِ

يتحدث الشاعر في هذه الصورة البصرية عن حالته مع الممدوح، وكيف أن عطاء المنصور قد جعل حياته نعيمًا، وعيشه رغدًا، حتى إن الليالي الشديدة السواد قد أطار عطاء الممدوح سوادها، وهوّن عليه همومها، وأجلى عنه أثقالها، حتى أنها أطار هذا العطاءُ كل غراب ينوح في دنيا الشاعر وبين أحبابه.

يتحدث أيضًا ابن درَّاج القسطلي عن عطاء الممدوح وكرمه، وكيف يسعد الشاعر في ظلّ هذا النعيم، ولعلّ الكلمات " عاشق، غنيمة، وكعاب" تدلّ على عملية التبدُّل من حال إلى حال، فحاله اليوم في كنف الممدوح تخيّم عليه كل أنواع الهناء والطمأنينة، فكل ملذات الحياة ومتاعبها متحقَّق وكل ما يتمناه واقع لامحالة، كما أن توظيف الشاعر للرموز والدلالات التي تحملها كلمات" الليل، والغراب "إنما تعزِّز ذلك النعيم الذي يسّببه عطاء الممدوح وكرمه، فإذا كان الغراب أسود اللون، فقد شبه الشاعر الليل به. وربما يقدِّم النص دلالة أخرى وهي إن هذا الليل في شؤمه كالغراب الناعب الذي شاب له رأسه.

---

(١) ديوان ابن درّاج القسطلي، صـ ١٨٣.

وتلك هي الطاقة التي تحملها هذه الكلمات، فالليل رمز إلى المجهول الذي لا يُعرف فيه للنور والضياء طريق أو سبيل، وهذا المجهول يلتقي الغراب الذي يؤشر إلى الشؤم وعدم تحقيق المسعى والمثال، ويودّ الشاعر توظيف رمز الغراب للنفاذ إلى المدح. وليس مدحًا عابرًا، بل الثناء على الممدوح الذي لا يشق له غبار.

وقد تكرّر ذكر الغراب مرتين في الشطر الأول في جنح ليل كالغراب" إنه التصوير اللوني، فلون الليل كلون الغراب، وفي الشطر الثاني تأتي كلمة أطار غرابي؛ لتبين أثر هذا الهمّ على الشاعر، وأنه شاب له رأسه، ولم يبق فيه سواد، وتتكرر الرؤية المعهودة عن الغراب أيضًا، غير أن الشاعر قد وظف الغراب بطريقة أخرى، ليس فيها تشاؤم ولا قلق، بل فيها تفاؤل وأمل؛ وذلك في تجربة أخرى، يمدح فيها المنصور، يقول في مطلعها: (١)

أَهْلًا بمَن قَهَرَ المُلُوكَ ومَرْحَبًا *** وَأَعَزِّ مَنْ حُلَّتْ لِرُؤْيتِهِ الحُبى

ثم يسرد الشاعر ابن درَّاج القسطلي مآثر المنصور ابن أبي عامر، ويتحدث عنه بعزة وافتخار، ويذكر صولاته وجولاته في الفتوحات والانتصارات، ثم تأتي أواخر القصيدة؛ فيذكر الشاعر أن ما حظي به الممدوح من مكانة ونصر، إنما هو من عند الله الذي ينصر جنده، ويجعل الغلبة لمن يعدل في دولته، ويمنح العطايا والهبات لرعيته، يقول ابن دراج القسطلي:(٢)

واللهُ مُخْتَارُ القَضَاءِ وَإن أَبَى *** فَعَسَى لخَيْرٍ مَا تَعَجَّلَ أَوْ أَبى
وَلَكَمْ أَرَاكَ النَّصْرَ لَمْحًا بَاصِرًا *** وَلَعَلَّ أَعْظَمَ مِنْهُ فِيمَا غَيبا
رَبًا بِنصرِكَ عَائِدًا وَمُوَالِيًا *** وَلطُولِ عُمْرِكَ وَاهِبًا مُسْتَوْهَبًا
وَكَفَى بمَنْ آوى إِلَيْكَ مُشَرَّدًا *** قَلِقَ الرِّكَائِبِ في البِلادِ مُغَرَّبا

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ٢١٦.
(٢) المصدر السابق، صـ ٢١٨.

حَتَى يَرَى البُؤْسَ غُرَابًا أعْصَمًا *** بنَدَاكَ والضَّرَاءَ عَنْقَاْ مُغْرِبا

في هذه الأبيات، يصف الشاعر ابن درَّاج القسطلي الممدوح بأنه رجل كريم معطاء، آوى المشردين، وأزاح عنهم همومهم، وأعانهم على نوائب أيامهم، وأزال أحزانهم؛ حتى رأى هؤلاء المشردون البؤس والمصائب غرابًا أعصم، والغراب الأعصم نادر جدًا، يضرب به المثل في الندرة، والضراء عنقاء مُغربًا، وعنقاء مغرب من المستحيلات التي تذكرها العرب، فكأنه يقول: يترحل البؤس والضراء عنهم، حتى لا يكادون يعرفونهما، وهذه إشارة إلى أن كرم الممدوح لا يناظر، وعطاءاته لا تنقطع، فالمشردون والبؤساء في كنف المنصور وظله أصبحوا لا يشعرون ببؤس، ولا يحسون بضر.

**ثانياً: الحمام**:

يعد الحمام من الطيور التي لازمت الشعراء في بيئاتهم المختلفة، ورافقتهم في حلهم وترحالهم؛ فنظروا إليه باعتبارها وسيلة تفاؤل وأمل، ورمزًا للحب والعشق، وعاملًا للحنين والشوق إلى الأهل والوطن، يبث الشاعر إليها لواعجه، ويشكو غصاته وخوالجه؛ باعتبارها رفيقة الإقامة والسفر، ومذكية الشوق والحنين.

وقد ذكروا أن للحمام مناقبَ منها "حبّه للناس، وأنس الناس به، وأنّك لم تر حيوانًا قطّ أعدل موضعًا، ولا أقصد مرتبةً من الحمام، وأسفل النّاس لا يكون دون أن يتّخذها، وأرفع الناس لا يكون فوق أن يتّخذها، وهي شيء يتّخذه ما بين الحجّام إلى الملك الهمام، والحمام مع عموم شهوة النّاس له، ليس شيء مما يتّخذونه هم أشدّ شغفًا به، ولا أشدّ صبابة منهم بالحمام، ثمّ تجد ذلك في الخصيان كما تجده في الفحول، وتجده في الصّبيان كما تجده في الرّجال، وتجده في الفتيان كما تجده في الشيوخ، وتجده في النساء كما

تجده في الرّجال، والحمام من الطّير الميامين"[١]. ومن ثم ندرك قيمة الحمام في مخيلة الشاعر العربي، لا سيما إذا اتسمت بيئة الشاعر بطبيعة خلابة، ومناظر جذابة، تسحر العيون، وتسلب القلوب.

يتضح من هذا عمق العلاقة القوية بين الناس بمختلف شرائحهم ومستوياتهم وبين الحمام، ومن هنا كان هذا الترابط قائمًا على رمز التفاؤل والأمل، والهدوء والراحة النفسية، مما جعل الشاعر يتخذه مصدرًا من مصادر الصورة الفنية، فوظفه في شعره في كلّ الأغراض، لاسيما المدح، وراح يسقط عليها مشاعره ونفسيته، ويحمّلها أفكاره.

وتلك هي طبيعة الأندلس الساحرة، التي أخذت الألباب، وجذبت الأنظار، بطبيعتها الغناءة، ومناظرها الخلابة، والحمام عنصر من الطبيعة، ونمط من أشكالها ومحسوساتها، ومن يتأمل في الشعر العربي يجد أن ذكر الحمام قد "تَرَدَّدَ في أشعارِ العَرَب، وقد هيج نَوْحُها كوامِنَ الأشواق، ولَوْعَةَ الحنينِ، وحُرْقَةَ الجَوَى؛ ففي رقّةِ تَسْجيعِهِ ما يَبْعَثُ التّذكّرَ، ويُولّدُ الشُّجونَ، ويَهيجُ الأسَى، ويُجدّدُ رقّةَ القلبِ؛ حتّى يجعل البكاءَ فَرْضًا معها، والتّصابي لازمًا لأجلِها، وقد رسم الشاعر الأندلسي للحمام لوحاتٍ شعرية نابضة بالحياة والحيوية ضمّت عناصر متعددة من الطبيعة، انعكست فيها أحوال الشعراء النفسية والعاطفية، وأحوال بلاد الأندلس وما تميزت به من بيئة طبيعة، واجتماعية، وسياسية[(٢)]"، وابن درّاج القسطلي من أولئك الشعراء.

والمتأمل في ديوانه يجد أنه قد جعل من الحمام وسيلة لتشكيل صورته الفنية، وآلية من آليات إبداعاته الشعرية، ومن أبرز هذه النماذج قوله في

---

(١) الحيوان، ج٢/٧٦ .

(٢) حمدان، عبد الرحيم: (الحمام في الشعر الأندلسي)، مقال منشور بموقع ديوان العرب، بتاريخ ٢٨ فبراير ٢٠١٣م. رابط: =

https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B١

بعض الولاة على بلنسية، وذلك في قصيدة طويلة، يقول في مطلعها:[١]

أُهَنِّيكُمَا مَا يَهْنِئُ الدِّينَ مِنْكُمَا *** هُدىً ونَدى فَلْيَسْلَمِ الدِّينُ واسْلَمَا

وفي ثنايا هذه القصيدة يتحدث الشاعر ابن درَّاج القسطلي عن العطاءات التي منحها له الممدوحان، والخير العميم الذي عاش فيه أهل بلنسية على يديهما، وذلك من خلال إبراز صورة التناقض بين الحياة التي عاشها المجتمع قبل حكمهما وبعده، فها هو يقول ابن درَّاج القسطلي: [٢]

تَقَسَّمَ رَيْبُ الدَّهْرِ والنَّأي شمْلَنَا *** وقلباً غَدا للبَينِ نَهْبًا مُقَسَّما

فَما نَأْتَسِي إلّا أَسىً وتَعَزِّياً *** وَمَا نلتَقي إلّا كَرىً وتَوَهُّما

لَيَالِيَ كَالإعدامِ طَوَّلَها الأَسَى *** وطاوَلْتُها حَوْلاً وحَوْلاً مُجَرَّمَا

أَسَهْمًا رَمَاهُ عن قِسِيِّ جَوانِحِي *** فِراقٌ فوَالى منهُ قَلْبيَ أَسْهُمَا

بذكراكَ شَاجَيْتُ الحمامَ فلَوْ وَفَى *** لأَنباكَ عن شَجْوِي إذَا مَا تَرَنَّما

يقدِّم الشاعر لوحتين فنيتين متضادتين عن عهدين وزمنين متغايرين لأهل بلنسية، اللوحة الأولى تنبض بالأسى والألم والوجع والقسوة التي كان عليها أهل بلنسية قبل مجيء الممدوحين. وأما الثانية فتنبض بالأمن والاستقرار والفرح الذي كان عليه أهل بلنسية من جراء عدالة الممدوحين.

ولعلّ اختيار الدهر وما أحدثه من فاعلية عميقة، وندوب في نفوس الناس ما يؤكد رمزية تلك الحالة التي سبقت عهد الممدوحين؛ فالدّهر قسّم الشّمل (تقسّم ريب الدهر فتمزّق شملُه)، وبهذا يغدو الدهر مشخصًا ومؤنسنًا يضفي عليه الشاعر صفات سلبية على عادة أهل الجاهلية؛ كالتفريق بين الناس، وكون البعد والقطيعة عنوانهم، وأن اللقاء بينهم غدا عزيزًا إلى درجة عدم تحقُّقه إلاّ في الأحلام، بمعنى أنه أضحى من الأوهام والمستحيلات، حتى الليالي أصبحت كأنها كوابيس لطول الأسى والحزن

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ٥٢٠.

(٢ )المصدر السابق، صـ ٥٢٢.

الكامن فيها.

ويكثف الشاعر ابن درَّاج القسطلي تلك المأسي قبل حلول الممدوحين باختيار كلمة ( السَّهم) ليعبِّر عن قمَّة القَسْوةِ والمعاناة، فالدَّهر يرمي سهامه لتستقرَّ في الجوانح (أسهمًا رماه عن قسيٍّ جوانحي)، ولعلّ مثل هذه اللوحات المؤلمة الحزينة إنما جاءت لكشف الحالة الصعبة الحرجة التي عاناها أهل بلنسية، وما تلك الانفراجات وتغيرُّ تلك الحالة إلاَّ بعد مجيئ الممدوحين، وفي البيت الأخير يذكر الشاعر كلمة (الحمام)؛ ليبين التحوُّل من تلك الحالة المؤلمة إلى حالة السعادة الجديدة، وكأن الشاعر وظّف (الحمام) للدلالة على تذكر الأيام؛ من خلال الهديل الذي يبعث على بكائية تلك الأيام المملوءة بالقسوة والحزن من جهة ، وإحلال الصوت الجديد للحمام الذي يبعث على السلام والأمن والوئام ، وأما عبارة (ولو وفي) فهي تجمع بين النقيضين، ودلالتها هنا جاءت للوفاء.

وفي قصيدة أخرى يمدح فيها المنصور ابن أبي عامر أيضًا، فيذكر ابن درَّاج القسطلي الحمام، على أنه وسيلة التفاؤل، وداعي الأمل، يقول مخاطبًا المنصور:(١)

فَلاَ عَدِمَ الإسلامُ رِعْيَكَ لا يَنِي *** وَلاَ أَمِنَ الإشراكُ بَأْسَكَ لاَ يُرْعِ
وَلاَ زَالَتِ الأَعْيَادُ عَائِدَةً لنا *** بمُلكِكَ مَا عَادَ الحَمَامُ إلى السَّجْعِ

في هذه القصيدة يمدح الشاعر المنصور بن أبي عامر، ويصفه بأنه البطل الهمام، الذي يدافع عن الإسلام ضد خصومه وأعدائه، ويبين أن الممدوح رجل مظفر، فيدعو له أن يطيل الله بقاءه، وألا يُعدَم الإسلام رعايته وقوته، وألا يأمن أهل الشرك بأسه وشدته، ثم يبين في البيت الثاني أن الأعياد ما زالت عائدة للمسلمين في ظل حكم المنصور ابن أبي عامر وملكه مدة بقاء هديل الحمام وسجعه، وغنائه وترنمه، والحمام لا ينفك عن السجع ما حيي.

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ٢٥٩.

**ثالثاً: الطيور الجارحة:**

من المعلوم أن الطيور إما أن تكون أليفة أو جارحة، فالأليف منها يبث الأمل في النفوس، ويبعث على التفاؤل في القلوب، أما الطيور الجارحة فيستخدمها الشاعر رمزًا إلى شيء معين، أو إشارة إلى دلالة مقصودة، ومن الطيور الجارحة التي وظّفها ابن دراج القسطلي في أشعاره طائر العقاب، وهو من الطيور القوية، التي "لا يبلغها سبع ولا ذو أربع، وتحيد عنها سباع الطير، ولا تعاني الصيد إلا قليلًا، بل تسلب كل ذي صيدٍ صيدهَ"(١)، وقد وظّف الشاعر هذا الطائر في قصيدة له يمدح فيها المنصور ابن أبي عامر، ويصور فيها قوة الجيش، وبسالة الجند وشجاعتهم، ومدى تمكن المنصور ابن أبي عامر من عدوه، وإحاطته بهم، وأنه لم تمنعه حصونهم أو قلاعهم من إنزال بأسه بهم أينما كانوا، وحيثما وجدوا، وفي هذه الصورة المكثفة بالعزة والافتخار يقول ابن درّاج القسطلي:(٢)

فَمَا قَصُرَتْ رِمَاحُكَ عن عَدُوٍّ *** ولَوْ أَعْيَا بِهِ أَمَدُ التَّنَائِي
إِذَا أَشْرَعْتَهَا فِي إِثْرِ غَاوٍ *** فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ سُبُلُ النَّجَاءِ
ولَو طَارَتْ بِهِ أَلْفَا عُقَابٍ *** يَرُمْنَ بِنَفْسِهِ خرْقَ الهواءِ
وَأَيْنَ يَفِرُّ عَنْ درِكِ المَنَايا؟ *** وَأَيْنَ يَشِذُّ من تحتِ السَّمَاءِ؟

يتحدث الشاعر في هذه القصيدة عن قوة الممدوح وشجاعته، ومدى فتكه بعدوه، وشدة بأسه على من يجرؤ على محارم الإسلام، فهو يقف لهم بالمرصاد، ويصور ابن دراج القسطلي هذا المشهد في صورة درامية معبرة؛ حيث يثبت العجز والضعف للأعداء، ويثبت النقيض –وهو القوة– للممدوح، ويدفع توهم من يظن أن رماحه يمكن أن يصيبها العجز أو الضعف، وذلك في قوله: (فما قصرت رماحك من عدو...)، ودل الجمع في كلمة (رماحك)

---

(١) شاكر، هادي شكر: (الحيوان في الأدب العربي) مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م. ج٢/ ٣٢٦،

(٢) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ٤٣٦.

على الكثرة، وإضافتها إلى المخاطب أعطاها قوة وسطوة، ثم يأتي البيت الثالث لإثبات القوة، والتمكن من العدو؛ حيث يثبت الشاعر أن إحاطة المنصور بأعدائه تغلق عليهم جميع سبل النجاة، ومنافذ الهروب، ويبالغ في تعقبهم بأن هؤلاء الأعداء لو طارت بهم ألفا عقاب؛ فإن المنصور ينقل تتبعه لهم إلى السماء، وقد آثر الشاعر ذكر العقاب على غيره؛ لأنه يضرب به المثل في القوة وسرعة الفتك، ويبالغ ابن درَّاج القسطلي أيضًا في عدد العقبان فيجعلها ألفين؛ للدلالة على أن العدو لن يتمكن من الفرار من سيف المنصور وقوته حتى لو طاروا بألفي عقاب، فإن هذا غير نافعهم أيضًا. كما يعزو ذلك إلى أن إرادة الممدوح وعزيمته لا يحدها حدّ، ولا تتوقف عند مدى معين، بل تتمدّد وتستمر حتى يتحقق النصر المؤزر المبين.

ومن الطيور الجارحة التي ذكرها ابن درَّاج القسطلي أيضًا: الصقر، وهو طير جارح يتميز بمنقاره الذي يمكّنه من قتل الفريسة، وتمزيق لحمها، وأجنحته الواسعة الطويلة التي تمكّنه من الانقضاض عليها، وقد جاء ذكر الصقر في شعر ابن دراج القسطلي أثناء حديثه عن الغلبة والتمكن، وفي سياق مدح المنصور ابن أبي عامر، وبيان التمكن من أعدائه حتى إن كانوا كالنسور، أو الصقور الجارحة، ربما هو غالبهم ومنتصر عليهم، يقول ابن درَّاج القسطلي مخاطبًا المنصور: (١)

لقَدْ حَاطَ أَعلامَ الهُدى بِكَ حَائطٌ *** وَقَدَّرَ فِيكَ المَكْرماتِ قَدِيرُ
مُقِيمٌ عَلَى بَذْلِ الرَّغائبِ واللُّهى *** وفِكْرُكَ فِي أَقْصى البِلادِ يَسيرُ
وأَيْنَ انْتَوى فَلُّ الضَّلالَةِ فَانْتَهى *** وأَيْنَ جُيُوشُ المسلِمينَ تُغِيرُ(٢)
وحَسْبُكَ من خَفْضِ النَّعِيمِ مُعَيِّداً *** جِهازٌ إِلَى أَرضِ العِدى ونَفِيرُ

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) انتوى: من النوى البعد ويقال التحول من مكان إلى مكان آخر أو من دار إلى دار غيرها كما تنتوي الأعراب في باديتها كل ذلك أُنْثى وانتوى القوم إذا انتقلوا من بلد إلى بلد. ينظر: لسان العرب، مادة (نوى).

فَقُدْها إِلَى الأَعداءِ شُعْثاً كَأَنَّها *** أَرَاقِمُ فِي شُمِّ الرُّبى وصُقُور[١]
فَعَزْمُكَ بالنَّصْرِ العَزِيزِ مُخَبِّرٌ *** وسَعْدُكَ بالفَتْحِ المُبِينِ بَشِيرُ

ولعلَّ المتأمل في هذه الأبيات، يجد الشاعر متحدثًا عن قوة المنصور وشدة بأسه على عدوه، وأنه لا يتوانى في الدفاع عن دينه وأرضه وملكه، وأن أعداءه مهما بلغت قوتهم فلن يستطيعوا أن ينالوا من جيشه، ومن هنا يخاطبه الشاعر بأن يقود الجيش المسلم إلى الأعداء، ويضفي على هذا الجيش صفات القوة، وشيم العزة، وخصال الكرامة والأنفة، ويصفهم بأنهم مرفوعو الهامة، شامخو الأعناق، وأنهم كالصقور التي إن أغارت على فريسة فلن تتركها قبل أن تنال منها، هذا هو جيش المنصور ابن أبي عامر.

ويتضح مما سبق أن الشاعر ابن درَّاج القسطلي وظفّ الطير بأنواعه المختلفة توظيفًا دقيقًا، يدلَّ على سعة ثقافته، وتمكُّنه من التوسُّع في الكشف عن أفكاره ومعانيه، من خلال تلك الإسقاطات النفسية، فلم يعد الطير مجرد كائن حي فحسب، بل راح يحمل هموم الشاعر وآماله، ومن هنا جاء الطير موافقًا لكثير من أفكار الشاعر المبثوثة في ثنايا القصيدة.

(١) الأراقم: واحدة أرقم: من الحيات الذي فيه سواد وبياض، والجمع أراقم. وقال ابن حبيب: الأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس.. والأراقم: قوم من ربيعة، سموا الأراقم تشبيهًا لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات.. الجوهري: الأراقم: حي من تغلب، وهم جُشم.. ينظر: المصدر السابق، مادة ( رقم).

## المبحث الثاني: الطير في شعر ابن درَّاج القسطلي بين الحقيقة والمجاز:

يُعدّ الطير بأشكاله وأنواعه وسيلة أسلوبية مهمة في يد الشاعر، يوظفها في تجاربه بطريقة فنية، وموهبة إبداعية، وقد كانت طبيعة الأندلس طبيعة غناء، ألهمت الشعراء بمناظرها الخلابة، وأشجارها الوارفة، وطيورها الصادحة، وفي شعر ابن درَّاج القسطلي كثرت النماذج التي ذكر فيها الطير على سبيل الحقيقة تارة، وعلى المجاز تارة أخرى؛ و ربما يستلهم الشاعر نوعًا من الطيور ويوظِّفه في تجربته بطريقة تقريرية مباشَرَة، بعيدة عن التلميح أو الإيماء، وذلك كما مرَّ من نماذج في المبحث الأول، وربما يستدعي الشاعر نوعًا من الطيور فيسقطه على تجربة ما بطريقة فيها إيماء وإيحاء، بعيدة عن المباشرة والتصريح، والمتأمل في شعر ابن درَّاج القسطلي يجد أنه قد عبّر عن الطيور بطريقة فيها تفنن وإبداع، وفيما يلي عرض لتلك الأنماط الأسلوبية، ومن أهمها:

**أولًا: الرمز:**

يعد الرمز من أهم وسائل التعبير التي يستعين بها الشاعر إذا ما أراد أن يبث لواعجه، ويعبر عن خلجاته بطريقة فنية، تنأى عن التقريرية والمباشرة، فيلجأ إلى استخدام الرمز باعتباره وسيلة مهمة في الخطاب الشعري؛ لكونه يعتمد "على الإيحاء بالأفكار والمشاعر وإثارتها، بدلًا من تقريرها، أو تسميتها أو وصفها"[(١)]، ومن أهم النماذج التي جعل فيها ابن درَّاج القسطلي الطير رمزًا وفيما يلي:

---

(١) أحمد، د. محمد فتوح: (الرمز والرمزية في الشعر المعاصر) دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤م، صـ ٣.

قصيدة قالها في مدح المنصور ابن أبي عامر، وذلك عندما فتح (شَنْت ياقُبْ[١]) أو غيرها من القِلاع الحصينة، التي يقال إن أحداً لم يصل إليها قبله""[٢]، وهي قصيدة طويلة تعد من مذهبات شعر ابن درَّاج القسطلي كما عدّها الحميدي، وقد وصف فيها الشاعر المعركة من أولها إلى آخرها، ووصف مشاهد القتال، وكيفية الحال، بأحسن وصف، وأروع مشهد، وفي أولها يقول: [٣]

قُلْ للرَّبيعِ اسْحَبْ مُلاءَ سَحَائِبِ *** فأجْرُرْ ذُيُولَكَ فِي مَجَرِّ ذَوَائِبي
لا تُكْدِيَنَّ ومن ورائِكَ أَدْمُعِي *** مَدَداً إِلَيْكَ بفَيْضِ دَمْعٍ سَاكِبِ

وفي ثنايا القصيدة وتفاصيلها الداخلية، يذكر الشاعر كلمة الحمام والغراب، فالأول طائر معروف بأنه من الطيور الميامين، ورمز للتفاؤل والأمل، والثاني معروف بأنه داعي القلق، ونذير الشؤم والأرق، ويقول في هذه القصيدة: [٤]

وأَعَدَّتِ الأَزْمَانُ مَاءَ شَبَابِهَا *** لِحُنُوِّ ظَهْرٍ أَوْ لِرَأْسٍ شَائِبِ
وَعَقَدْنَ بالأَبَدِ الأَبيدِ وإِنْ نَأَى *** حِلْفَينِ حِلْفَ مُسَايِرٍ ومُعَاقِبِ
مَا، بلَّ بَحْرٌ صُوفَةً وتَقَاذَفَتْ *** أَمْوَاجُهُ بشَمَائِلٍ وجَنَائِبِ

---

(١) كنيسة عظيمة عندهم، وهي ثغور ماردة، وهذه الكنيسة مبنية على جسد يعقوب الحواري، يذكرون أنه قتل في بيت المقدس وأدخله تلاميذه في مركب، فجرى به المركب في البحر الشامي إلى أن خرج إلى البحر المحيط حتى انتهى به إلى موضع الكنيسة بساحل فيه فبنيت الكنيسة عليه وسميت باسمه فيقصد إليها من افرنجه ومن رومة والقسطنطينية ليوم معروف جعل عيدًا لها .. وغزا شنت ياقوب عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر سنة ٣٨٧ وأوسع أهلها قتلا وأسرًا، وقراها وأسوارها هدمًا وإحراقًا، وأنشأ ابن دراج القسطلي رسالة إلى الخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن يخبره بالفتح ويصف الكنيسة وأرضها وله فيها قصيدة مشهورة. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، صـ ٣٤٨.

(٢)) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، صـ ١٠٥.

(٣) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ١٦٧.

(٤) المصدر السابق، صـ ١٦٨.

هَدَمًا إلى هَدَمٍ وحِفْظَ دَمٍ دَمًا *** حَدَبٌ بعَطْفِ مُشَاكِهِ ومُنَاسِبِ
زُهْرٌ طوالِعُها لكُلِّ غَدٍ غَدٌ *** وَجَزَاؤُها رَهْنٌ بأَمْسِ الذَّاهِبِ
تَشْدُو بها خُضْرُ الحَمَامِ وحَظُّهَا *** عَنْقَاءُ رِيعَتْ بالغُرَابِ النَّاعِبِ

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر ابن درَّاج القسطلي عن المنصور ومدى قوته وشدة فتكه بعدوه، وأن البلاد على عهده قد شهدت رخاء وازدهارًا ونهضة وإعمارًا، فكان بحق منصورًا يهدم من يريد شرًا بالمسلمين، وحفظ داء الأبرياء، ويأخذ بأيدي الضعفاء، ثم يأتي البيت الأخير (تشدو بها خضر الحمام...)؛ مكثفًا بالرمز والتلميح؛ إذ إن الشاعر جعل الحمام رمزًا للمنصور الذي يحب من يتبعه، ويخلص لأصدقائه، ويوفي بوعوده معهم، بلا غدر أو خيانة، ومن هنا جعل ابن دراج القسطلي الوالي المنصور رفيقًا وصديقًا لمن أراد السلم والأمان؛ فكان الحمام (وهو رمز الصداقة والوفاء) يشدو بأنغام النصر، ويدعو إلى السلام والأمان، ثم جعل ابن درَّاج القسطلي الغراب رمزًا لمن يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وذلك مثل الأعداء الذي يقفون ضد المنصور، ويناصبونه العداء، هؤلاء مثلهم كمثل الغراب الذي ينعق بالشؤم على نفسه، فكان المنصور بالنسبة لهم كالعنقاء التي تخيفهم وترهبهم، وكان أعداؤه كالغراب الناعب بالشؤم، والداعي إلى الخوف.

ومن نماذج الرمز في شعر ابن درَّاج القسطلي أيضًا ما ذكره في قصيدته التي مدح بعض رؤساء الكتاب آنذاك، وفي مطلعها يقول:[١]

سلامٌ وهُنّيتُ فيكَ السَّلاَمَة *** وَعُمْرًا أُهنِّي اللّيالِي دَوَامَهْ

وفي ثنايا القصيدة يخاطب الممدوح قائلًا: [٢]

فلو غِبتَ يوم استِباقِ الكرامِ *** لوافاك ذو السَّبْقِ مِنْها أَمَامَهْ

---

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ١١٥.

(٢) المصدر السابق، صـ ١١٧.

وكَيفَ وَمَا ضَاعَ حَقٌّ لحُرٍّ *** تُراعِي حِماهُ وتَرْعى سَوَامَهْ
وكيفَ يُقَصِّرُ عن غَايةٍ *** فَتىً شَدَّ طِفْلاً إليها حِزَامَهْ
وَعندكَ أُبْلِغَ سَاعٍ مَداهُ *** وعندَكَ أدْرَكَ جفنٌ مَنَامَهْ
وكَمْ مِنْ يَدٍ حُرَّةٍ عندَ حُرٍّ *** تُطَوِّقُها منكَ طوقَ الحَمَامَة

المتأمل في هذه الأبيات، يجد أن الشاعر ابن دراج القسطلي يصف الممدوح بصفات الإجلال والتكريم؛ حيث يبرز للقارئ أن الممدوح رجل ذو أيادٍ بيضاء على من يلتمس منه العطايا أو الهبات، فلا يرد سائلًا، ولا يحرم من فضله أحدًا، بل يجود بما لديه، ويكرم وفادة من وفد إليه، ولا يحرم من أقبل عليه. ومن هنا ذكر الشاعر كلمة (الحمام)؛ ليجعلها رمزًا للصديق الوفي، والخل الناصح الأبي، وقد دل ذكر الحمام على أن الشاعر يرى في الممدوح صديقًا وفيًا، ورجلًا سخيًا، كما أن الحمام طائر وفي، وصديق مخلص لبني الإنسان، كما دل ذكر الحمام أيضًا على أن الممدوح قد اتسم بصفات الجود والكرم؛ فكم من يد حرة (أناس ذوو فاقة وحاجة) عن حر (الممدوح) قد طوقها الممدوح طوق الحمامة، كأنه حمامة وصديق وفي لصاحبه الذي يمد يد العون إليه.

**ثانياً**: **التشخيص**:

يعدّ التشخيص من الوسائل المهمة التي يتكئ عليها الشعراء عامةً وشعراء الأندلس خاصةً، ومنهم: ابن دراج القسطلي، فالتشخيص هي الوسيلة المهمة التي يعبر فيها عن خلجات وجدانه، ويصور بها ما يعتمل في قلبه وكيانه، ومن المعروف أن " اللُّغة القاموسية المعروفة إنما وضعت في الأصل للتعبير عن الحقائق والمسائل العقلية، فإذا ما أراد الأديب اتخاذها لأداء الانفعالات النفسية، شعر بأنها دون ما في نفسه من قوة العاطفة، وحرارة الشعور؛ لذلك يحاول اصطناع لغةً أخرى تسمو إلى مستوى نفسه الثائرة، وتستطيع تصوير ما فيها من آثار القوة الوجدانية، فيلجأ إلى الصور

التي تجسم المعاني وتنقلها إلى درجة أرقى؛ لتزداد قوة وجمالًا"[١].

وقد قيل إن للتشخيص طريقتين لدى الشعراء، هما: "الطريقة السردية: وهي التي يقوم فيها الأديب ببيان الصفات والخصائص البشرية في الشيء المراد تشخيصه، وإبرازه في صورة إنسانية، وذلك بطريقة القص والحكاية، ثم الطريقة التمثيلية: وهي التي يدع فيها الأديب الشيء المشخص؛ لكي يرتدي ثوب الصفات البشرية، ويؤدي بنفسه ما يلزم عنها من أقوال وأفعال وحركات وإشارات"[٢].

والمتأمل في شعر ابن درَّاج القسطلي، يجد أنه استخدم آلية التشخيص في أشعاره؛ وجعل لها صفات الإنسان، لا سيما في التجارب التي مدح فيها جيش المنصور ابن أبي عامر، فوصفهم بالصقور الجارحة التي تنقض على فريستها، ووصفهم بالأسود الضارية التي لا تذل ولا تستكين لعدوها، ومن ذلك قوله يخاطب المنصور:[٣]

وقد صَـــــــــرَمَتْهُ حَادِثَاتٌ كَأَنَّها *** بيُمْنَاكَ يَا مَنْصُورُ بِيضٌ صوارِمُ[٤]

..... *** .....

وَفِي كَبِدِ الطَّاغُوتِ منها صوارِعٌ *** وَفِي فِقَرِ الشَّيْطَانِ منها قَواصِمُ[٥]

بكل تُجَيَبْيٍ إِلَيْكَ انْتِسَابُهُ *** وإِنْ أَنْجَبَتْهُ تَغلِبٌ والأَراقِمُ[٦]

---

(١) الشايب، د. أحمد :( أصول النقد الأدبي) مكتبة النهضة المصرية، ط١٠، ١٩٩٤م، صـ٣٣.

(٢) عفيفي، د. عيسى محمد إبراهيم: (التشخيص في شعر حافظ إبراهيم). مجلة حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة، عدد ١٦، ١٩٩٨م. صـ ٧٢٣-٧٢٤.

(٣) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ١٦١.

(٤) صوارم: واحدة صرم، جمع صريم: القطع البائن، وعمّ بعضهم به القطع أي نوع كان. ويقال سيف صارم: السيف القاطع. ينظر: لسان العرب، مادة (صرم).

(٥) قواصم: واحدة قصم كدق الشيء. يقال للظالم: قصم الله ظهره. كسره كسرًا فيه بينونة. ينظر المصدر السابق، مادة (قصم).

(٦) سبق ذكرها في المصدر نفسه، صـ٢٢.

ومُختارٍ يمنـــاكَ العَلِيَّـــةِ نِسْـبَةً *** وإنْ سَـفَرَتْ يَرْبُـوعُ عنهـــا ودارِمُ
وأَذْهَلَهُمْ جَدْوَاكَ عن كلِّ مَفْخَرٍ *** وإنْ فَخَـرَتْ ذُهْـلٌ بِهَـــا واللَّهَـــازِمُ[1]
أُسُـــودٌ إذَا لاقَـــوْا وطَيْـــرٌ إذا دُعُـــوا *** أَيَـــامِنُهُمْ للمُعْتَـــدِينَ أَشَـــائِمُ

في هذه القصيدة، يمدح ابن درَّاج القسطلي المنصور ابن أبي عـــامر، ويصفه بالقوة والشجاعة، والكرم والإقدام، ويصف جنوده بأنهم أســـود إذا لاقوا عدوهم، ينقضون عليهم، ويفتكون بهم في لمح البصر، ولا يعطـــونهم فرصة للهرب أو الفرار، وهذا شأن الجيش المقدام، وشيم الأبطال العظام، لا يرضون بالذل، ولا يهابون أي عدو، وفي أثناء هذا المدح يصف ابـــن درَّاج القسطلي هذا الجيش بأنهم طيور، يطيرون على عدوهم، ولا يخشون بأسهم، ولا يهابون مكرهم، بل يطيرون للقنص والعدو والإقدام.

ولا يخفى أن في هذه الصورة الشعرية تشخيصًا للطيور؛ حيث جعـــل ابن درَّاج القسطلي منهم إنسانًا له إرادة وله مقدرة على الصيد والقـــنص، وهذا في حدِّ ذاته مدح للجيش، واعتزاز بقوته ومدى شجاعته؛ إذ جعلهـــم طيورًا إذا دعوا إلى الجهاد والقتال؛ طاروا ملبين دعوة الداعي، وأصـــبحت لهم أجنحة يستطيعون من خلالها أن يتمكنوا من عدوهم، ويتغلبوا على من تسوِّل له نفسه أن يعاديهم، أو يقف ضدهم، ومن هنا اســـتطاع ابـــن درَّاج القسطلي أن ينقل تجربته الفنية ودفقته الشـــعرية عـــن طريـــق التجســـيد والتشخيص؛ وجعل مالا يدرك مدركًا ، ومالا يعقل عاقلًا ، يشعر بما نشعر به ، ويدرك ما ندركه ، ويتحرك في زهو وانتشاء ، ومن هنا تجاوزت الصورة حدّ الزخرفة الفنية إلى حدِّ التعايش مع التجربة المجسدة، والدفقة المصورة، وهذا شأن التصوير البارع، والشاعر الناجح.

---

(١) اللهازم: مجموعة من القبائل العربية تتألف من عجل وتيم اللات وقيس ابن ثعلبـــة وعنـــزة. ينظر: المصدر نفسه، مادة (لهزم).

**ثالثاً: المعادل الموضوعي:**

هو أحد المصطلحات النقدية الحديثة عُرِف مع (توما س إليوت) [١] – الشاعر الناقد الإنجليزي–، الذي أشار إليه في آرائه النقدية أثناء حديثه عن دراسة مشهورة له بعنوان (هاملت ومشكلاته) نتيجة عدم رضاه عن ضروب الغموض في المسرحية، وعن عجز (شكسبير) جزئيًا عن معالجة مادته العاطفية الجامحة بالعثور على صيغة موضوعية ملائمة[٢].

وقد احتل هذا مصطلح المعادل الموضوعي حيزًا واسعًا من آراء (إليوت) النقدية، الذي خلُص فيما بعد إلى عدِّه ركيزة أساسية من ركائز الصورة الفنية أو الشكلية للإبداع الأدبي الذي يتعين على الشاعر تبنيه في كتابة نصه الشعري [٣]، كما أن هذا المصطلح عبارة عن نظرية بسيطة للغاية، وهو في واقع الأمر قانون من قوانين الفن، لم يكن لـ(إليوت) فضل ابتكاره بقدر ما كان له فضل اكتشافه، ولكن على الرغم من بساطتها فقد كان لها أثر فاعل في النقد والخلق على السواء... فكما أنها أصبحت مقياسًا توزن به الأعمال الفنية، وتساعدنا على تفهمها، كذلك أصبحت نبراسًا يهتدي به الكتاب في كتاباتهم... [٤].

والمعادل الموضوعي هو أداة فنية، يلجأ إليها المؤلف والكاتب للتعبير

---

(١) إليوت (ت. س توماس)١٨٨٨–١٩٦٥م، شاعر وناقد مسرحي، أمريكي الأصل، حصل على الجنسية البريطانية عام ١٩٢٧، العام ١٩٤٧م وسام الاستحقاق وجائزة نوبل، كما أحرز عام ١٩٥٥م، جائزة غوته النمساوي. ينظر: ت.س. إليوت الشاعر الناقد للمؤلف ف.ا. ماتيسن. ترجمة د. إحسان عباس، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت–نيويورك، ١٩٦٥، من مقدمة الكتاب، صـ٢٥–٣٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٥٥.

(٣) ينظر: مخلف، د. فؤاد مطلب، محمد، د. لطيف محمود: ( إليوت عند النقاد العرب) ، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب ع ٣ ،٢٠١٠م، ص١٠١.

(٤) رشاد، رشدي: (فن كتابة المسرحية) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م. صـ ١٢١.

عن عواطفه وأحاسيسه بصورة شكلية، وطريق ملتوي يكمن في العثور على عدد من المكونات المماثلة لموقفه، والمعبرة عن تجربته، والقادرة على تصوير ما في ذاته، وهذا المصطلح وإن كان جديدًا على الساحة النقدية إلاَّ أنه قديم بمفهومه ودلالته؛ حيث كان الشاعر العربي القديم يعيش في الصحاري الشاسعة، والفيافي الواسعة، التي كانت مصدر إلهام له، فكانت تلك البيئة بمنزلة الأم لأبنائها. فالمصطلح بمفهومه ودلالته كان قد عرفه الشاعر العربي القديم.

وفي الشعر الأندلسي ألهمت البيئة الشعراء بما فيها من مناظر خلابة، ومشاهد جذابة، وكانت مصدرًا لتشكيلاته الشعرية، ودفقاته الشعورية، ومن هنا نظر الشاعر إلى المحسوسات والمرئيات من حوله ثم جسد تجربته، وصور مشاعره، متخذًا من الطيور معادلًا موضوعيًا لما في نفسه، ومعادلًا فنيًا لما يعتلج في قلبه.

وابن درَّاج القسطلي من هؤلاء الشعراء الذي ألهمتهم البيئة بمناظرها ومشاهدها، فجعل من الطير معادلًا لما في أحاسيسه ومشاعره، ومن أبرز هذه النماذج التي وردت في تجاربه متخذًا من الطير معادلًا موضوعيًا ما يأتي: (١)

عِيدٌ ووعدٌ صادقٌ لَكَ بالمُنى *** ولمن شِئِتْ وعيدُ صدقٍ بالفَنا
ومُبَشِّرُ الأَيامِ أن تَبْقَى لَهَا *** ومبشّرُ الإسلامِ أَن تَبْقَى لَنَا
ولمن مُنَاهُ أَن تعيشَ مؤيِّداً *** ومؤَيَّداً ومؤمِّناً ومؤمَّنا
ومعظَّماً ومكرَّماً ومحكَّماً *** ومسلَّماً ومغنَّماً وممكَّنا
ولعِزِّ مُلْكٍ أنت أكرمُ من نَمى *** ولضَنِّ دهرٍ أَنت أَنْفَسُ مَا اقْتَنى
ممَّا نَمَى قحطانُ أَكرَمِ نبعَةٍ *** مهتزَّةِ الأَغْصَانِ دَانِيةِ الجَنى
غنَّاءَ تشدُو من خلائِقِها بِهَا *** طيْرٌ تَغَنَّى لِلخَلائِق بالغِنى

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ ٢٥٩-٢٦٠.

يتحدث ابن درَّاج القسطلي في هذه القصيدة عن المنصور ابن أبي عامر، ويصفه بصفات الكرم والسخاء، والشجاعة والوفاء، فهو مؤيِّد لكل خير، ومؤيَّدٌ بكل خير، وهو معظَّم ومكرَّم ومحكَّم ومسلَّم... ثم يأتي البيت الأخير؛ ليبرز ما في قلب الشاعر من حب تجاه الممدوح؛ حيث يصفه بأنه طير يشدو بالغناء، ويترنم بكل خير وسخاء وعطاء، ولا يخفى أن استخدام الطير هنا جاء معادلًا موضوعيًا للممدوح، فكما أن الطيور تصدح بالغناء وتطرب الآذان، وتدعو إلى التفاؤل والأمن والأمان، فكذلك الممدوح تغني شجاعته بالانتصارات والفتوحات، ويصدح صوته بالنداء على من يريد العطايا والهبات، وتطرب أقواله وأفعاله كل من يتقرب منه، ويعيش معه، فلا هو يغدر بمن أقبل عليه، ولا يخدع من لاذ به، بل يكون حظ المستجير به أمنًا وأمانًا، وسلمًا وسلامًا، وهذا شأن الطير الذي يبث الأمل، ويبعث على الاطمئنان، ويبشر بالتفاؤل والأمان.

ولعلّ ورود أسماء الفاعل والمفعول، إنما يشير إلى تلك الحقيقة التي يتجاوب فيها حال الممدوح مع حال الناس والرّعية معًا، وفي هذا قمة التشاركية بين الصانع واليد الفاعلة وبين المصنوع له، فالصانع هو الممدوح التي (مؤيدّ، ومعظم، ومكرّمًا ومحكمًا..) فلما كان الممدوح يتصف بصفات التأييد والتعظيم والتكريم والتحكيم والتسليم، فإن الناس قد اصطبغت بهذه الآثار وهدا النعيم؛ فكان الممدوح فاعلًا لتلك الخيرات والنعيم؛ من أجل رعيته وإدامة الرخاء والأمان عليهم، فأصبح الناس يحترمونه ويعظمونه. وكأن الفاعلية هي تأييد من الله منحت له، والمفعولية تأييد الناس له.

ومن ذلك أيضًا قصيدته التي يمدح فيها المنصور وابنيه الحاجب سيف الدولة عبد الملك وعبد الرحمن الناصر، ويقول في مطلعها: (١)

لكَ البُشْرَى وَدُمْتَ قَرِيرَ عَيْنٍ *** بشأْوَي كوكَبَيْكَ الثَّاقِبَينِ

(١) ديوان ابن درَّاج القسطلي، صـ٣٧١.

وفي ثنايا هذه القصيدة يثني على ابني المنصور فيقول: (١)

لقَدْ زَجَرَ الهُدَى يومَ استطَارا *** إلى الأَعداءِ أَيْمَنَ سَانِحَيْنِ

وَشَامَ الكفرُ يومَ تَيَمَّمَاهُ *** بِجندِ الحَقِّ أَشْأَمَ بَارِقَيْنِ

فتلكَ مصانِعُ الأَمنِ اسْتَحَالَتْ *** مصارع كل ذي ختر ومَينِ

لَغَاوٍ سَلَّ سَيفَ النَّكْثِ فِيها *** كَمَا نَعَبَ الغرابُ بيومِ بَيْنِ

في هذه الأبيات يتحدث ابن درَّاج القسطلي عن بأس ابني المنصور وقوتهما، وكيف أنهما كانا فارسين مقدامين على الأعداء، تمكنا منهم، وانتصرا عليهم، فكانا سببًا في نصرة الحق وأهله على الباطل وجنده، وفي أثناء هذه الصورة يوظف الشاعر طائر الغراب، الذي هو رمز الشؤم والتشاؤم، ونذير القلق والتطير، ويجعل ابن دراج القسطلي من الغراب معادلًا موضوعيًا ليوم الهزيمة التي لحقت بالأعداء، فكما أن الغراب ينعق بصوت منفر، ويصدح بنعيق منذر، فكذلك اليوم الذي لحق بالأعداء تلك الهزيمة النكراء، التي حققها المنصور وابناه، ومن هنا استطاع الشاعر ابن درَّاج القسطلي أن يجعل من الطيور الداعية إلى التفاؤل والأمل معادلًا موضوعيًا للممدوح، وأن يجعل من الطيور التي تدعو إلى اليأس والتشاؤم معادلًا موضوعيًا لأيام شؤم لحقت بالأعداء؛ نتيجة قوة المنصور وبسالة جيشه، وإقدام جنده. فالطير الرامزة إلى التفاؤل هي المعادل الموضوعي للممدوح، وتلك الناعبة الدالة على التشاؤم هي المعادل الموضوعي للأعداء.

(١) المصدر السابق، صـ ٣٧٦.

## الخاتمة

لقد تناولت هذه الدراسة موضوع (الطير في شعر ابن درَّاج القسطلي) التي تشير إلى جملة من النتائج أبرزها:

- يعد شعر ابن درَّاج القسطلي انعكاسًا طبيعيًا لبيئته، سواء أكانت تلك الطبيعة الخصبة الجميلة، أم تلك البيئات السياسية والاجتماعية؛ فقد تمكن من توظيف الطيور في شعره لتحمل دلالات ورموزًا مختلفة تشارك الشاعر آماله والآمه، كما كانت إشارات إلى فاعلية الممدوح، يوظفها الشاعر في خدمة الفكرة -محور الأحداث-.
- وظّف الشاعر ابن درَّاج القسطلي تقنيات بلاغية ونقدية مختلفة من مثل: الرمز، والتشخيص، والمعادل الموضوعي، مما عزّز صورة شعره التي ابتعدت عن المباشرة والسطحية، وارتقت إلى فنيات مختلفة استطاع الشاعر من خلالها السمو بشعره المعبر عن الأحداث بالصورة والخيال.
- وردت في شعر الشاعر ابن درَّاج القسطلي أنواعًا مختلفة من الطيور، ولم يأتِ وروده زخرفًا أو ترتيبًا شكليًا، بل جاء كل لون منها ليحمل دلالات مختلفة عن الأخرى.

هذا ما تناولته الدراسة، وأسأل الله بفضله ومنّه الإصابة في الجواب، وفصل الخطاب، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## قائمة المصادر والمراجع

١-ابن بشكوال (ت٥٧٨هـ)، أبي القاسم خلف بن عبد الملك: (الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدباءهم)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٠ م.
٢-ابن خفاجة (ديوان ابن خفاجة)، تحقيق: عبد الله سنده، دار المعرفة ــ بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧-٢٠٠٦ م.
٣-ابن خلكان(ت٦٠٨هـ)، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٤-ابن دحية(ت٦٣٣هـ)، أبي الخطاب عمر بن حسن، ت: إبراهيم الإبياري، د. حامد عبد المجيد، د. أحمد بدوي، راجعه: د. طه حسين: دار العلم للجميع، بيروت- لبنان، د. ط ت.
٥-ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ)، علي بن موسى: (المغرب في حُلَى المغرب)، حققه وعلق عليه: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د. ط. ت.
٦-أبو تمام (ت ٢٣١ه)، حبيب بن أوس :(ديوان أبي تمام الطائي)، ضبط وشرح: شاهين عطية اللبناني، المطبعة الأدبية في بيروت، د.ط، ١٨٨٩م.
٧-أحمد، د. محمد فتوح: (الرمز والرمزية في الشعر المعاصر) دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤م.
٨-بردي (ت٨١٣هـ)، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط١/١٣٨٣-١٩٦٣م.
٩-التلمساني (ت ٧٥٩هـ)، أحمد بن محمد المقري: (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط ت.
١٠-الجاحظ (ت ٢٥٥ه)، أبي عثمان عمرو بن بحر: (الحيوان)، ت: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١٣٨٨،٣-١٩٦٩م.
١١-الحميدي(ت٤٨٨هـ)، أبي عبد الله محمد بن فتوح: (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس)، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ١٤٢٩-٢٠٠٨م.
١٢-الحميري(ت٩٠٠ه)، محمد بن عبد المنعم: (الروض المعطار في خبر الأقطار)، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢ ،١٩٨٤م.
١٣-الحنبلي(ت١٠٨٩هـ)، أبي الفلاح عبد الحي بن العماد: (شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة)، بيروت، ط٢ ،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
١٤-الدميري (ت٨٠٨هـ)، كمال الدين محمد بن موسى: (حياة الحيوان الكبرى)، ط٥، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
١٥-الذهبي(ت٧٤٨هـ)، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: (سير أعلام النبلاء) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.
١٦-رشاد، رشدي: (فن كتابة المسرحية) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، ١٩٩٨م.
١٧-الركابي، جودت: (في الأدب الأندلسي)، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٦ م.
١٨-الزركلي(ت١٣٩٦هـ)، خير الدين: (الأعلام)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٨٦م.

١٩-شاكر، هادي شكر: (الحيوان في الأدب العربي) مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥- ١٩٨٥م.
٢٠-الشايب، د. أحمد :( أصول النقد الأدبي) مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط١٠، ١٩٩٤م.
٢١-الشنتمري (ت٥٥٢هـ)، أبو الحسن علي بن بسام: (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، د.ط. ت١٤١٧-١٩٩٧م.
٢٢-الصفدي (ت٧٦٤هـ) صلاح الدين خليل بن ايبك: (الوافي بالوفيات)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٣-الضبي(ت٥٩٩هـ)، ابن عميرة أحمد بن يحيى: (بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤١٠ه-١٩٨٩م.
٢٤-ضيف، د. شوقي (الفن ومذاهبه في الشعر العربي)، دار المعارف، القاهرة، ط٩، دت.
٢٥-عباس، د. إحسان: (تاريخ الأدب الأندلسي- عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، بيروت ط١، ١٩٦٠م.
٢٦-القسطلي، ابن دراج (ديوان ابن دراج القسطلي)، تحقيق د. محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي دمشق، ط١، ١٩٦١م.
٢٧-ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، شهاب الدين أبي عبدالله:(معجم البلدان)، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٣٩٧هـ-١٩٩٣م.

المجلات

٢٨-سلطاني، د.الجيلالي:( الثقافة المشرقية وأثرها في ترسيخ مذهب العرب في الشعر الأندلسي)، التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق، ع ١٠٦، ١٤٢٨- ٢٠٠٧م، السنة ٢٧.
٢٩عفيفي، د. عيسى محمد إبراهيم: (التشخيص في شعر حافظ إبراهيم). مجلة حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة، عدد ١٦، ١٩٩٨م.
٣٠-د. فؤاد مطلب، محمد، د. لطيف محمود: ( إليوت عند النقاد العرب) ، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب ع ٣ ،٢٠١٠م.

المقالات في المواقع الإلكترونية:

٣١-حمدان، عبد الرحيم: (الحمام في الشعر الأندلسي)، مقال منشور بموقع ديوان العرب، بتاريخ ٢٨ فبراير ٢٠١٣م. رابط

https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1

## References

Ibn Khalkan (d. 608 AH), Abi al-Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad bin Abi Bakr: (Deaths of Notables and News of the Sons of Time), T: d. Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, d. I, 1398 A.H.-1978 A.D., Volume 1/135.

Ibn Bashkwal (d. 578 AH), Abi al-Qasim Khalaf bin Abd al-Malik: (The connection in the history of the imams of Andalusia, their scholars, speakers, jurists, and writers), T: Bashar Awad Maarouf, 1st edition, 2010, Dar Al-Gharb Al-Islami, Tunis, Vol. 1/78.

Al-Dhahabi (d. 748 AH), Shams al-Din Muhammad bin Ahmad bin Othman: (Biography of the Nobles), T: Shuaib Al-Arnaout, Muhammad Naim Al-Arqousi, Al-Risala Foundation, 1st edition, 1403 AH-1983 AD, vol.: 17/365.

Al-Hamidi (d. 488 AH), Abi Abdullah Muhammad bin Abi Nasr Fattouh Al-Azdi: (The ember of the quoted in mentioning the governors of Andalusia), the Egyptian House for Authoring and Translation, d. I 1966 AD, pp. 110-114.

Al-Dhabi (d. 599 AH), Ibn Omaira Ahmed Bin Yahya: (The Pursuit of the Petitioner in the History of the People of Andalusia), T: Ibrahim Al-Abyari, 1st edition, 1410 AH-1989 AD, Dar Al-Masry Al-Kitab, Cairo, Dar Al-Kitab Al-Lebanese, Beirut. MG 1/201-204.

Ibn Dihya (d. 633 AH), Abi Al-Khattab Omar bin Hassan: (What Rejoice From the poems of the people of Morocco), T: Ibrahim Al-Abyari, d. Hamid Abdel Majeed, d. Ahmed Ahmed Badawy, reviewed by: d. Taha Hussein: House of Knowledge for All, Beirut - Lebanon, Dr. T., 156-157.

Al-Safadi (d. 764 AH) Salah al-Din Khalil ibn Aibak: (interpolation everything about deaths), T: Ahmed Al-Arnaout, Turki Mustafa, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 1420 AH-2000 AD, Part 8/33-36.

Al-Hanbali (d. 1089 AH), Abi Al-Falah Abd Al-Hay bin Al-Imad: (Nuggets of Gold In news of gold, Dar Al-Masirah), Beirut, 2/1399 AH-1979 AD, Part 3/217-219.

Bardi (d. 813 AH), Jamal al-Din Abi al-Mahasin Yusuf ibn Taghri: (The Brilliant Stars in the Kings of Egypt and Cairo), Dar al-Kutub al-Masriyya in Cairo, vol.

Al-Zarkali (d. 1396 AH), Khair al-Din: (the Flags), Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 7th Edition, 1986 AD, Part 1/211.

Al-Humairi (d. 900 AH), Muhammad bin Abdul-Moneim: (The scented oasis in the news of the countries), T: Dr. Ihsan Abbas, Library of Lebanon, Beirut, 2nd edition, 1984 CE, 479-480, Al-Mutreb 156, gold nuggets 3/217, Al-Alam vol. 1/211.

Ibn Saeed Al-Maghribi (d. 685 AH), Ali bin Musa: (Morocco in trinkets of Morocco), achieved and commented on by: Shawqi Dhaif, Dar Al-Maarif, Egypt, d. i. T, 2/60, seen: Al-Mutreb: 156.

Yaqut al-Hamawi (d. 626 AH), Shihab al-Din Abi Abdullah: (Dictionary of Countries), Dar Sader, Beirut, d. I, 1397 AH-1993 AD, Volume 2/ 195-196.

Introduction: (collection of poems for Ibn Darraj Al-Qastly), d. Mahmoud Ali Makki, Islamic Office Publications, Damascus, 1st edition, 1961AD, pg. 36.

Al-Hamidi (d. 488 AH), Abi Abdullah Muhammad bin Fattouh: (The

embodiment of the quoted in the history of the scholars of Andalusia), achieved and commented on by: Bashar Awwad Marouf, Muhammad Bashar Awwad, Dar Al-Gharb Al-Islami, Tunis, 1st Edition, 1429-2008 AD, Part 1/78.

Sultani, D. Al-Jilali: (Eastern culture and its impact on the consolidation of the Arab doctrine in Andalusian poetry), The Arab Heritage, a quarterly magazine issued by the Arab Writers Union in Damascus, p. 106, 1428-2007 AD, year 27, pp. 57-58.

Abbas, d. Ihsan: (History of Andalusian Literature - The Era of Cordoba Sovereignty), Dar Al Thaqafa - Beirut Edition: First, 1960 AD, p. 260.

Al-Shantmari (d. 552 AH), Abu al-Hasan Ali bin Bassam: (Ammunition in the virtues of the people of the island), T: Dr. Ihsan Abbas, House of Culture, Beirut - Lebanon, d. T 1417-1997 AD, 1/61.

Al-Talmisani (d. 759 AH), Ahmed bin Muhammad al-Maqri: (The perfume smelled from the wet branch of Andalusia), T: Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, Dr. I, T, 3/195.

Deif, d. Shawqi (Art and Its Doctrines in Arabic Poetry), Dar Al-Ma'arif, ed / 9, pp. 427-429.

Al-Rikabi, Jawdat: (In Andalusian Literature), Dar Al-Maarif, Egypt, second edition, 1966, p. 130

(Diwan Ibn Khafaja), T: Abdullah Sandah - Dar Al-Ma'rifah - Beirut - Lebanon, 1st edition, 1427-2006, p. 133

Al-Jahiz (T), Abi Uthman Amr bin Bahr: (The Animal), T: Abd al-Salam Harun, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon, 3rd Edition, 1388-1969 AD, Part 3, p. 457.

Al-Damiry (d. 808 AH), Kamal al-Din Muhammad ibn Musa: (Great animal life), 5th edition, 1398 AH-1978 AD, vol. 2/105.

Abu Tammam (d. 231 AH), Habib bin Aws: (Diwan Abi Tammam al-Ta'i), he stood on its printing and control and commented on its explanation, Shaheen Attia al-Lebanese, Literary Press in Beirut 1889 AD, the venerable public knowledge institution in Astana, attic No. 412, p. 15

Hamdan, Abd al-Rahim: (The Pigeons in Andalusian Poetry), an article published on the Arab Diwan website, on February 28, 2013 AD. Link:

Shaker, Hadi Shukr: (Animals in Arabic Literature), Al-Nahda Al-Arabiya Bookshop, World of Books, vol. / 1 / 1985 AD. 1405 AH Part 2/326,

Ahmed, d. Muhammad Fattouh: (Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry), Dar Al-Maarif, Cairo, 3rd Edition, 1984 AD, p. 3.

Al-Shayeb, Dr. Ahmed: (The Fundamentals of Literary Criticism) The Egyptian Renaissance Bookshop, 10th edition, 1994 AD, p. 33.

Afifi, Dr. Issa Muhammad Ibrahim: (The Diagnosis in the Poetry of Hafez Ibrahim). Yearbook of the College of Islamic and Arab Studies, Boys, Cairo, No. 16, 1998. pp. 723-724.

Dr.. Fuad Muttalib, Muhammad, d. Latif Mahmoud: (Elliot at the Arab Critics), Anbar University Journal of Languages and Literature, p. 3, 2010, p. 101.

Rashad, Rushdi: (The Art of Writing the Play), the Egyptian General Book Organization, Cairo 1998. p. 121.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050



الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

## فهرس الموضوعات


| م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | ملخص | ٥٣٩٩ |
| ٢- | Abstract | ٥٤٠٠ |
| ٣- | المقدِّمة: | ٥٤٠١ |
| ٤- | التمهيد | ٥٤٠٤ |
| ٥- | أولًا: التعريف بابن دراج القسطلي: | ٥٤٠٤ |
| ٦- | ثقافته وشاعريته: | ٥٤٠٦ |
| ٧- | ثانياً: البيئة في مخيلة ابن دراج القسطلي: | ٥٤١٠ |
| ٨- | المبحث الأول: أنواع الطير في شعر ابن دراج القسطلي | ٥٤١٢ |
| ٩- | أولًا: الغراب: | ٥٤١٣ |
| ١٠- | ثانياً: الحمام: | ٥٤٢٠ |
| ١١- | ثالثاً: الطيور الجارحة: | ٥٤٢٤ |
| ١٢- | المبحث الثاني: الطير في شعر ابن دراج القسطلي بين الحقيقة والمجاز | ٥٤٢٧ |
| ١٣- | أولًا: الرمز: | ٥٤٢٧ |
| ١٤- | ثانياً: التشخيص: | ٥٤٣٠ |
| ١٥- | ثالثاً: المعادل الموضوعي: | ٥٤٣٣ |
| ١٦- | الخاتمة: | ٥٤٣٧ |
| ١٧- | فهرس المصادر والمراجع: | ٥٤٣٨ |
| ١٨- | فهرس الموضوعات | ٥٤٤٢ |